هذا الجزء مطبوع ضمن كتاب

"قادة النبي صلى الله عليه وسلم" للمؤلف

قادة النبي ﷺ

القادة الشهداء في مؤتة

محمود شيت خطّاب



القادة الشهداء في مؤتة

زيد بن حارثة الكلبي

جعفر بن أبي طالب

عبد الله بن رواحة الأنصاري

دار قتيبة
للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

١٤١١هـ - ١٩٩٠م

دار قتيبة

للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - ص.ب: ١٤/٦٣٦٤

دمشق ص.ب: ١٣٤١٤

بسم الله الرحمن الرحيم

زيد بن حارثة الكلبي

جعفر بن أبي طالب

عبد الله بن رواحة الأنصاري

زيد بن حارثة الكلبي

نسبه وأيامه الأولى

هـو زيد بن حـارثة بن شَـراحِيْل بن عبد العُزَّى بن امرىء القيس بن عامِر بن النّعمان بن عامِر بن عَبْد وُدّ بن عَـوْف بن كِنَـانـة بن عَـوْف بـن عُـذْرَة بن زيـد اللّات بن رُفَيْـدَة بن ثَـوْر بن كَلْب بن وَبَـرَة بن تَغْلب بن حُلْوان بن الجاف بن قُضَاعة بن مالِك بن عمرو بن مُرَّة بن مالِك بن حِمْيَـر بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْـرُب بن قَحْـطان ، وإلى قحطان جماع اليمن[1] ، وربمـا اختلف الذين نسبـوه في الأسمـاء وتقديم بعضهـا على بعض وزيادة شيء فيهـا[2]

---

(١) طبقات ابن سعد (٣ / ٤٠) وانظر أنساب الأشراف (١ / ٤٦٧) وسيرة ابن هشام (١ / ٢٦٥ ـ ٦٦) والاستيعاب (٢ / ٥٤٢) .

(٢) الاستيعاب (٢ / ٥٤٢) وأسد الغابة (٢ /٢٢٤) .

ونقص شيء منها[1] .

ومن المعلوم أنَّ العرب كانوا ولا يزالون يهتمّون بحفظ أنسابهم تسجيلاً ورواية ، ومصادر الأنساب في التراث العربي كثيرة جداً ، وحتى اليوم إذا زرت حيّاً من أحياء العرب ، وسألت طفلاً من أطفالهم عن نسبه ، سرد عليك نسبه إلى بضعة أسماء أو أكثر ، وحفظ الأنساب غير معروف عند غير العرب من الأمم الأخرى ، فلا غرابة في تشكيكهم باستمرار في صحّة الأنساب العربيّة ودقتها ، والمرء عدو ما جهل .

ولا مجال للعربي الأصيل أن يتقبل تشكيك غير العربي بصحّة أنساب العرب ، ولكنّ الشك ينحصر في دقتها ، وبخاصة إذا ارتفعت إلى عهود سحيقة في القِدَم .

وأم زيد : سُعْدى بنت ثعلبة بن عبد عامِر بن أفلتَ من بني مَعْنٍ من طيءٍ[2] .

(١) أسد الغابة (٢ / ٢٢٤) .

(٢) طبقات ابن سعد (٣ / ٤٠) وأنساب الأشراف (١ / ٤٦٧) وأسد الغابة (٢ / ٢٢٤) (٢ / ٢٢٤) والاستيعاب (٢ / ٥٤٢) والأصابة (٣ / ٢٥) .

وزارت سُعْدى أمّ زيد قومها وزيد معها ، فأغارت خيل لبني القَيْن ابن جَسْر في الجاهليّة ، فمرّوا على أبيات بني مَعْن رهط أمّ زيد ، فاحتملوا زيداً إذ هو يومئذٍ غلام يَفَعَة قد أوْصَفَ[1] ، فوافوا به سوق عُكاظ ، فعرضوه للبيع ، فاشتراه منهم حَكيم بن حِزام بن خُوَيلد بن أسد بن عبد العُزّى بن قصي لعمتّه خديجة بنت خُوَيْلِد بأربعمائة درهم ، فلما تزوّجها رسول الله ﷺ ، وهبته له ، فقبضه رسول الله ﷺ[2] .

وفي رواية أخرى ، أنّ زيداً كان قد أصابه سباءٌ في الجاهلية ، فاشتراه حكيم بن حزام في سوق حُبَاشَة ، وهي سوق بناحية مكّة كانت مَجْمَعاً للعرب يتسوّقون بها في كلّ سنة ، اشتراه حكيم لخديجة بنت خُوَيلد ، فوهبته خديجة لرسول الله ﷺ[3] .

---

(1) غلام يفعة : شاب . وأوصف الغلام أو الفتاة : بلغ أوان الخدمة . وأوصف : تم قده .

(2) طبقات ابن سعد (٣ / ٤٠ - ٤١) وأنساب الأشراف (١ / ٤٦٧) .

(3) الاستيعاب(٢ / ٥٤٣) .

وقيل : رآه النبي ﷺ يُنَادى عليه بالبَطْحَاء[1] ، فذكره لخديجة ، فقالت له يشتريه ، فاشتراه من مالها لها ، ثمّ وهبته للنبيّ ﷺ[2] .

ويقال : إنّ رسول الله ﷺ كان ابتاع زيداً بالشام لخديجة حين توجّه مع مَيْسَرَة قيِّمها ، فوهبته له[3] .

والمتّفق عليه ، أنّ زيداً أصابه سباء ، وكان حرّاً فأصبح عبداً لخديجة ، ثم أصبح للنبي ﷺ ، ولا أهمية للاختلاف في مَنْ اشتراه ولا في مكان بيعه .

وقد كان أبوه حارثة حين فقده قال :

بَكَيْتُ على زيدٍ وَلَم أدْرِ ما فَعَلْ
أحَيٌّ فيُرْجَى أم أتى دونَه الأجَلْ
فواللّهِ ما أدري وإنْ كُنتُ سائلاً
أغالَكَ سَهْلُ الأرض أَمْ غالك الجبلْ

---

(١) البطحاء : المسيل الواسع فيه دقائق الحصى ، والمقصود هنا : بطحاء مكة .

(٢) تهذيب الأسماء واللغات (١ / ٢٠٢) .

(٣) أنساب الأشراف (١ / ٤٦٧) .

فيا ليتَ شِعْري هل لكَ الدَّهرَ رجعةٌ
فحسبي من الدنيا رُجوعُك لي بَجلْ[1]
تذكّرُنيهِ الشّمسُ عند طلوعها
وَتَعرض ذكراهُ إذا قاربَ الطّفل
وإنْ هَبّتِ الأرواحُ هيّجنَ ذكرَه
فيا طولَ ما حزني عليه ويا وَجَل
سأعمل نصَّ العيْس في الأرضِ جاهداً
ولا أسأم التطوافَ أو تسأم الإبل
حَياتِي أو تأتي علَّي منيّتي
وكلّ امرىءٍ فانٍ وإنْ غرّه الأمل
وأوصي به قيساً وعمَرْاً كليهما
وأوصي يزيداً ثمّ من بعدهم جَبَلْ

يعني جبلة بن حارثة أخا زيد ، وكان أكبر من زيد ، ويعني يزيد أخا زيد لأمه ، وهو يزيد بن كعب بن شراحيل .

---

(١) بجل : حسب .

ثم إنَّ نـاسـاً من بني كلب حجـوا ، فـرأوا زيـداً فَعَـرَفهم وعرفـوه ، فقال : « بلِّغـوا أهلي هذه الأبيـات ، فإني أعلم أنّهم جزعوا عليّ » ، وقال :

أحِـنّ إلى قـومـي وإنْ كنـتُ نـائـيـاً
بـأنـي قـطين البيت عنـد المـشـاعـر
فكُفّـوا من الـوَجـدِ الـذي قـد شجـاكُمُ
ولا تَـعـمـلوا فـي الأرض نصّ الأبـاعـر
فـانـي بـحـمـد الله فـي خَـيْـرِ أُسْـرَةٍ
كـرام مَـعَـد كـابـراً بَـعْـدَ كـابِـرِ[1]

وانـطلق الكلبيّون إلى ديـارهم ، وأعلمـوا أبـاه بمكانه ، ووصفوا له موضعه وعند مَنْ هو ، فخرج حارثـة وكعب ابنا شراحيل بِفدائـه[2] ، وقدِمـا مكّة ، فسـألا عن النبي ﷺ ، فقيـل : هو في المسجـد ، فـدخـلا عليـه ، فقالا : « يا ابن عبـد اللّه ! يا ابن عبـد المطلب ! يـا ابن

(١) أسـد الغابـة (٢ / ٢٢٥) والاستيعـاب (٢ / ٥٤٤) وطبقـات ابن سعد (٣ / ٤١) .

(٢) طبقـات ابن سعـد (٣ / ٤١) ، وفـي أنسـاب الأشـراف (١ / ٤٦٨) : خرج حارثة وكعب ابنا شراحيل وجبلة بن حارثة بفدائه .

هاشم . يا ابن سيد قومه ! أنتم أهل الحرام وجيرانه وعند بيته ، تفكُّون العاني ، وتُطعمون الأسير ، جئناك في ابننا عندك ، فامنن علينا وأحسن إلينا في فدائه ، فإنّا سنرفع لك في الفداء » . قال : « مَنْ هو ؟ » ، قالوا : «زيد بن حارثة » ، فقال رسول الله ﷺ : « فهل لغير ذلك ؟ » ، قالوا : « ما هو ؟ » ، فقال : « دَعُوه ، فخيِّروه ، فإن اختاركم فهو لكما بغير فداء ، وإن اختارني ، فوالله ما أنا بالذي أختار على مَنْ اختارني أحداً » ، قالا : « زدتنا في النّصف وأحسنت » . ودعاه النبيّ ﷺ فقال : « هل تعرف هؤلاء ؟ » ، قال : « نعم » ، قال : « مَنْ هما ؟ » ، قال : « هَذا أبي ، وهذا عمِّي » قال : « فأنا مَنْ قد علمتَ ورأيتَ صُحْبَتي لك ، فاخترني أو اخترهما » ، فقال زيد : « ما أنا بالذي أختار عليك أحداً ، أنت منّي بمكان الأب والأم » ، فقالا : « ويحك يا زيد ! أتختار العبوديّة على الحريّة وعلى أبيك وعَمِّك وأهل بيتك ؟ ! » ، قال : « نعم ! إني قد رأيت من هذا الرّجل شيئاً ما أنا بالذي أختار عليه أحداً أبداً » . فلما رأى

رسول الله ﷺ ذلك ، أخرجه إلى (الحِجْرِ)[1] فقال : « يا مَنْ حَضَرَ ! اشهدوا أنّ زيداً ابني ، أرِثُهُ ويرثني » ، فلما رأى ذلك أبوه وعمّه طابت أنفسهما وانصرفا ، فدُعِيَ : زيد بن محمّد ، حتى جاء الله بالاسلام[2] .

ويبدو من سياق هذا الحديث ، أنّه جرى قبل مبعثه عليه الصّلاة والسّلام ، وكان قدوم حارثة وأخوه مكّة لفداء زيد قبل الاسلام أيضاً .

ومما يلفت النّظر ، أنّ زيداً قال لأبيه وعَمّه : « إني قد رأيت من هذا الرّجل شيئاً ، ما أنا بالذي أختار عليه أحداً أبداً » ، فما الذي رآه زيد من النبيّ ﷺ ؟ حسن الخلق ، وحسن المعاملة ؟ ذلك صحيح ، ولكنّه لا يكفي لاختياره ، لأنّه اختيار صعب جداً ، لا يكون إلاّ من أجل العقيدة وحدها ، فهي وحدها تدفع المرء

---

(١) الحجر : حجر الكعبة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣ / ٢٢٠ - ٢٢١) .

(٢) طبقات ابن سعد (٣ /٤١ - ٤٢) وأنساب الأشراف (١ /٤٦٨ - ٤٦٩) والاصابة (٣ / ٢٥) وتهذيب ابن عساكر (٥ / ٤٥٦ - ٤٥٧) .

المؤمن بها إلى التضحية بغير حدود .

وأرجِّح أنَّ قدوم حارثة وأخيه لفداء زيد ، كان بعد الاسلام ، وأنَّ زيداً كان قد أعلن إسلامه وارتبط ارتباطاً مصيرياً بالنبيّ ﷺ ، فهذا هو الذي رآه زيد من هذا الرجل : « النبّوة » . . .

ولعلَّ الدليل على ذلك ، ما جاء في مصدر واحد : « أنَّ حارثة والد زيد أسلم حين جاء في طلب زيد ، ثمّ ذهب إلى قومه مسلماً »[1] ، فإسلام زيد هو الذي جعله يختار النبيّ ﷺ على أبيه وأهله ، وإسلام أبيه حارثة ، هو الذي جعله تطيب نفسه فينصرف راضياً .

إسلام زيد

كان الزُهريّ يقول : « أوّل مَنْ أسلم زيد ابن حارثة »[2] ، وكان يقول : « أوّلَ مَنْ أسلم من النساء خديجة ، ومن الرجال زيد بن حارثة[3] ، وقال غير

(١) تهذيب الأسماء واللغات (١ / ٢٠٣) .
(٢) أنساب الأشراف (١ / ٤٧٠) .
(٣) أنساب الأشراف (١ / ٤٧١) .

الزهري : إنّ أوّل من أسلم زيد بن حارثة[١] .

وكـان زيـد وعليّ بن ابي طـالب رضي الله عنـه ، يلزمان النبيّ ﷺ ، وكان ﷺ يخرج إلى الكعبة أوّل النّهار ويصلي صلاة الضّحى ، وكانت قريش لا تنكرهـا ، وكان إذا صلّى غيرها قعد عليٌّ وزيد بن حارثة يرصدانه[٢] .

وقيل : إنّه أسلم بعد علّي بن أبي طالب رضي الله عنــه ، فكـان أوّل ذكـر أسلم وصلّى بعـد عليّ بن أبي طالب[٣] .

وقيـل : أوّل مَنْ أسلم خـديجـة ، وأسلم عليٌّ بن أبي طالب بعد خديجة ثم أسلم بعده زيد ، ثمّ أبو بكر[٤] رضي الله عنهم جميعاً .

وقيــل : أوّل مَنْ أسلم خــديجــة ، ثـم آمن مـن الصبيان عليٌّ ، ثم آمن من الرجال أبو بكر الصدّيق ، ثم

---

(١) ابن الأثير (٢ /٥٩) .
(٢) أنساب الأشراف (١ / ١١٣) وابن الأثير (٢ / ٥٩) .
(٣) سيرة ابن هشام (١ / ٢٦٥) وتهذيب ابن عساكر (٥ / ٤٥٨) .
(٤) أسد الغابة (٢ / ٢٢٦) .

زيد بن حارثة[1] .

ولا أرى تناقضاً في تلك الآراء ، فأوّل مَنْ أسلم من النِّساء خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها ، وأوّل مَنْ أسلم من الرِّجال أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وأوّل مَنْ أسلم من الصبيان علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وأول مَنْ أسلم من الموالي زيد بن حارثة رضي الله عنهم ، فهؤلاء هم الأوائل في الاسلام .

وكان هؤلاء النّفر هم الذين سبقوا إلى الإسلام ، ثمّ تتابع الناس في الاسلام حتى فشا ذكر الاسلام بمكّة وتحدّث به النّاس[2] .

وفي مسألة إسلام أولئك النفر السّابقين خلاف مشهور ، ولكنّ تقديم زيد على الجميع ضعيف[3] ، ولا مسوّغ للخلاف ، فكلّهم أوائل في الاسلام ، كلّ فرد منهم الأولّ على أمثاله من النّاس ، فإذا لم يكن زيد أوّل مَنْ أسلم ، فقد كان بالاجماع من أوائل مَنْ أسلم .

(١) جوامع السيرة (٤٥) .
(٢) ابن الأثير (٢ / ٥٩) .
(٣) تهذيب الأسماء واللغات (١ / ٢٠٢) .

في الطائف

تُوفي أبو طالب عمّ النبيّ ﷺ وخديجة أمّ المؤمنين قبل الهجرة بثلاث سنين ، وبعد خروجهم من الشِّعب[1] ـ شِعب أبي طالب ـ فتُوفي أبو طالب في شوّال أو في ذي القعدة وعمره بضع وثمانون سنة ، وكانت خديجة ماتت قبله بخمسة وثلاثين يوماً ، وقيل : كان بينهما خمسة وخمسون يوماً ، وقيل : ثلاثة أيّام .

وعظمت المصيبة على رسول الله ﷺ بهلاكهما ، فقال رسول الله ﷺ : « ما نالت قريش مني شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب » ، وذلك أنّ قريشاً وصلوا من أذاه بعد موت أبي طالب إلى ما لم يكونوا يصلون إليه في حياته ، حتى ينثر بعضهم الترابَ على رأسه ، وحتى إنّ بعضهم يطرح عليه رحم الشّاة وهو يُصلّي ، وكان رسول الله ﷺ يُخْرج ذلك على العود ويقول : « أيّ جوارٍ هذا يابني عبد مناف ! » ، ثمّ يلقيه بالطريق .

فلما اشتدّ عليه الأمر بعد وفاة أبي طالب ، خرج

(١)الشعب : انفراج بين الجبلين . (ج) : شعاب .

ومعه زيد بن حارثة إلى ثَقِيْف يلتمس منهم النَّصر . فلما انتهى إليهم في مدينة الطَّائف ، عَمَدَ إلى ثلاثة نفر منهم ، وهم يومئذ سادة ثقيف ، وهم إخوة ثلاثة : عبد يا ليل ، ومسعود ، وحبيب ، بنو عمرو بن عُمَيْر ، فدعاهم إلى الله ، وكلّمهم في نصرته على الاسلام والقيام معه على مَنْ خالفه ، ولكنّهم ردّوه ردّاً غير كريم .

وقام النبيّ ﷺ ، وقد يئسَ من خير ثقيف ، وقال لهم : « إذا أبيتم فاكتموا عليّ ذلك » ، وكره أن يبلغ قومه خبر إخفاقه ، فلم يفعلوا . وأغروا به سفهاءهم ، فاجتمعوا إليه وألجأوه إلى حائط لعُتْبَة وشَيْبَة ابْنَيْ ربيعة ، وهو البستان ، وهما فيه . ورجع السُّفهاء عنه ، فجلس إلى ظلٍّ نخلة وقال : « اللّهمّ إليك أشكو ضعف قوّتي وقلّة حيلتي وهواني على الناس ! اللّهمّ يا أرحمَ الرَّاحمين أنتَ ربّ المستضعفين وأنت ربي ، إلى مَنْ تَكِلُني ؟ إلى بعيدٍ يَتَجهّمني ، أو إلى عدوٍّ ملّكته أمري ، إنْ لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي ! ولكنّ عافيتك هي أوسع لي إني أعوذ بنور وجهك الذي أشرقتْ به الظلمات وصلحَ عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن تُنزل بي غضبك

أو تُحلَ بي سخطك »[1] .

وعاد النبيّ ﷺ أدراجه إلى مكّة ، وعاد معه زيد ، الذي كان يلازمه ملازمة الظل ، ولا يفارقه طرفة عين ، بعد أن شهد رحلة النبيّ ﷺ إلى الطّائف ، ورأى بعينيه ما لاقاه من صدود وأذى من أجل الدّعوة إلى الاسلام وفي سبيل الله .

الهجرة

لما أمر النبيّ ﷺ بالهجرة إلى المدينة المنوّرة ، هاجر زيد إليها ، فنزل على سعد بن خَيْثَمَة[2] .

وقيل : نزل حمزة بن عبد المطلب ، وحليفه أبو مَرْثَد كَنّاز بن حُصيْن الغَنَوِيّ ، وزيد بن حارثة الكَلْبِيّ مولى رسول الله ﷺ ، على كُلْثُوم بن الهِدْم ، أخي بني عمرو بن عوف بِقُباء ، ويقال : على سعد بن خَيْثَمَة[3] .

---

(١) ابن الأثير(٢ / ٩١ ـ ٩٢) .

(٢) طبقات ابن سعد (٣ / ٤٤) .

(٣) جوامع السيرة (٨٩) ، وانظر طبقات ابن سعد (٣ / ٤٤) .

ومهما يكن الاختلاف في اسم الأنصاري الذي نزل عليه في المدينة أو في ضواحيها ، فقد وجد له في المدينة المنورة مستقراً يأوي إليه ، ليستأنف جهاده في خدمة الاسلام والمسلمين .

وفي المدينة ، آخى النبيّ ﷺ بينه وبين أُسَيْد بن حُضَيْر[1] ، وقيل : آخى بينه وبين جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهما[2] . وقيل : إنّ رسول الله ﷺ آخى بين زيد وحمزة وآخى بين زيد وأُسيد بن حُضَيْر[3] ، وقيل : آخى بين زيد وحمزة[4] . ويبدو أنّ النبيّ ﷺ آخى بين زيد وبين حمزة قبل الهجرة[5] وإليه أوصى حمزة يوم أُحُد حين حضره القتال ، إن حدث به حادث الموت[6] أما مؤاخاة المدينة التي كانت بعد الهجرة إليها ، فقد آخى

(١) المحبر (٧١) .
(٢) تهذيب الأسماء واللغات (٢٠٢) .
(٣) طبقات ابن سعد (٣ / ٤٤) .
(٤) الاصابة (٢ / ٢٦) وتهذيب ابن عساكر (٥ / ٤٥٧) وأسد الغابة (٢ / ٢٢٦) .
(٥) الدرر في اختصار المغازي والسير (١٠٠) .
(٦) سيرة ابن هشام (٢ / ١٢٤) وتهذيب الأسماء واللغات (١ / ١٦٨) والاصابة ((١ / ٣٧) .

النبيّ ﷺ بين زيد وأُسَيْد بن حُضَيْر .

أما المؤاخاة بين زيد وبين جعفر بن أبي طالب ، فقد كان جعفر مهاجراً إلى الحبشة ، وعاد منها هو وصحبه من المهاجرين ومَنْ دخل في الاسلام هناك ، وقدموا على رسول الله ﷺ في خَيْبَر[1] ، وكانت غزوة خيبر في شهر محرّم من السنة السّابعة الهجرية[2] ، فمن المشكوك فيه أنّ النبيّ ﷺ آخى بين زيد وبين جعفر في تلك السنة المتأخرة من الهجرة ، بينما جرت المؤاخاة بعد الهجرة مبكّراً .

وهكذا أصبح لزيد في موطنه الجديد ، قاعدة المسلمين الأمينة : المدينة مستقر يأوي إليه ، وأخ يشدّ به عضده ، ومجتمع يتعاون معه في السرّاء والضرّاء .

في غزوة بدر الكبرى .

خرج رسول الله ﷺ من المدينة باتجاه موقع (بَدْر)

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات (١ / ١٤٨) .

(٢) سيرة ابن هشام (٣ / ٣٧٨) وفي طبقات ابن سعد (٢ / ١٠٦) : أن الغزوة في جمادى الاولى سنة سبع الهجرية .

يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان على رأس تسعة عشر شهراً من مُهاجَره[1] ، أي في السنة الثانية الهجرية .

وكان مع المسلمين سبعون بعيراً ، فكانوا يتعاقبون عليها : البعير بين الرجلين والثلاثة والأربعة ، وكان بين النبيّ ﷺ وعلي بن أبي طالب وزيد بن حارثة بعير[2] ، وفي رواية أخرى كان رسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب ومَرْثَد بن أبي مَرْثد يعتقبون بعيراً ، وكان حمزة وزيد وأبو كَبْشَة موالي رسول الله ﷺ يعتقبون بعيراً[3] ، والرواية الثانية هي ، لإجماع أكثر المؤرخين عليها .

وكان من الرماة المذكورين من أصحاب النبيّ ﷺ في غزوة بدر الكبرى[4] ، وكان لهؤلاء الرماة الأثر

---

(١) طبقات ابن سعد (٢ / ١٢) .
(٢) أنساب الأشراف (١ / ٢٨٩) .
(٣) جوامع السيرة (١٠٨) .
(٤) أنساب الأشراف (١ / ٣٢٣) وانظر تهذيب الأسماء واللغات (١ / ٢٠٢) . وطبقات ابن سعد (٣ / ٤٥) .

العظيم في إحراز المسلمين النصر في هذه الغزوة الحاسمة على المشركين .

وقد قَتَلَ زيد من المشركين يوم بدر حَنْظَلة بن أبي سفيان بن صَخْر بن حَرْب بن أميّة ، وكان من مشاهير مشركي قريش[1] .

وكان زيد البشير الذي أوفده النبي ﷺ إلى المدينة بفتح بدر[2] ، فقد بعث النبيّ ﷺ زيد بن حارثة إلى أهل (السّافِلَة) من المدينة وبعث عبد اللّه بن رَوَاحة إلى أهل (العالية) بشيرين بنصر المسلمين على المشركين في بدر . قال أسامة بن زيد : « فأتانا الخبر حين سوّينا التراب[3] على رُقَيّة ابنة رسول الله ﷺ التي كانت عند عثمان بن عفّان رضي الله عنه ، كان رسول الله ﷺ قد خَلّفني عليها مع عثمان ـ أنّ زيد بن حارثة قَدِمَ ، فجئته وهو واقف بالمصلّى وقد غشيه الناس وهو يقول : قُتل

---

(١) جوامع السيرة (١٤٧) .

(٢) المحبر (٢٨٧) وتهذيب الأسماء واللغات (١ / ٢٠٢) وأسد الغابة (٢ / ٢٢٦) .

(٣) يريد : دفنوها وسووا التراب على قبرها .

عُتْبَة بن ربيعة ، وشَيْبَة بن ربيعة ، وأبو جَهْل بن هشام ، وزَمْعَة بن الأسْوَد ، وأبو البَخْتَرِيّ العاص بن هشام ، وأميّة بن خَلَف ، ونُبَيْهٌ ومُنَبِّه ابنا الحجّاج ! قلت : يا أبتِ ! أحقٌ هذا ؟ ! قال : نعم واللّهِ يا بُنَيّ ! »[1] .

وكان رجل من المنافقين قد قال لأسامة بن زيد : « قُتل صاحبكم ومَنْ معه » ، وقال آخر منهم لأبي لُبَابَة : « قد تفرّق أصحابكم تفرّقاً لا يجتمعون بعده ، وقُتل محمدٌ وهذه ناقته نعرفها ، وهذا زيد لا يدري ما يقول من الرعب » . قال أُسامة بن زيد : « فأتيتُ أبي ، فكذّب قول المنافقين »[2] .

وهكذا استطاع زيد أن يبدِّد مخاوف أهل المدينة ، ويكذِّب إشاعات المنافقين المغرضة ، ويعيد الهدوء والاطمئنان إلى المدينة ، ويرفع معنويات المسلمين فيها إلى عنان السماء .

لقد كان دور زيد في غزوة بدر الحاسمة دوراً بارزاً حقاً .

---

(١) سيرة ابن هشام (٢ / ٢٨٤ - ٢٨٥) .

(٢) أنساب الأشراف (١ / ٢٩٤) وانظر المغازي (١ / ١١٤) .

قائد سرية القَرَدَة[1] .

هي أوّل سريّة خرج فيها زيد أميراً ، وخرج لهلال جمادى الآخرة على رأس سبعة وعشرين شهراً[2] من مُهاجَر رسول الله ﷺ ، أي في السّنة الثالثة الهجرية .

وكانت قريش قد حذرت طريق الشّام أن يسلكوها ، وخافوا من رسول الله ﷺ وأصحابه ، وكانوا قوماً تجّاراً ، فقال صَفْوان بن أُميّة : « إنّ محمّداً وأصحابه ، قد عوّروا علينا متجرنا ، فما ندري كيف نصنع بأصحابه ، لا يبرحون السّاحل ، وأهل السّاحل قد وادعهم ودخل عامتهم معه ، فما ندري أين نسلك ، وإن أقمنا نأكل رؤوس أموالنا ونحن في دارنا هذه ، مالنا بها نفَاق[3] ، إنما نزلناها على التجارة : إلى الشام في الصّيف ، وفي الشتاء إلى أرض الحبشة » ، فقال له

(١) القردة : من أرض نجد ، بين الربذة والغمرة ناحية ذات عرق ، انظر طبقات ابن سعد (٣ / ٣٦) ومعجم البلدان (٧ / ٥٠) .

(٢) مغازي الواقدي (١ / ١٩٧) ، أما في طبقات ابن سعد (٢ / ٣٦) ، فجاء : على رأس ثمانية وعشرين شهراً .

(٣) مغازي الواقدي(١ / ١٩٧) ، وفي بعض النسخ : « مالنا بها بقاء » : والنفاق : جمع النفقة .

الأسـود بن المـطّلِب : « فنكّب[1] عن السّـاحـل ، وخـذ طريق العراق » .

ولم يكن صفوان عالمـاً بطريق العـراق ، فاستـأجر دليـلاً يـدعى : فُـرات بن حَيّان العجليّ الـذي قـال لصفوان : « أنا أسلك بـك طريق العـراق ، ليس يطؤهـا أحد من أصحاب محمّد ، إنما هي أرض نَجْدٍ وفيافٍ » ، فقـال صفـوان : « فهـذه حـاجتي ، أمـا الفيـافي فنحن شاتون ، وحاجتنا إلى الماء اليوم قليل » .

وتجهـز صفوان ، وأرسـل معه أبـو زَمْعَة بثـلاثمائـة مثقـال ذهب ونُقَر[2] فضـة ، وبعث معه رجـال من قريش ببضائع ، وخرج معه عبد اللّه بن أبي ربيعة وحُويْطِب بن عبـد العُزّى في رجـال من قريش ، وخـرج صفوان بمـال كثيـر : نُقَر فضّـة ، وآنية فضّـة وزن ثـلاثين ألف درهم ، وخرجوا على (ذات عِرْق)[3] .

وقدم المدينة نُعَيْم بن مَسعود الأشْجَعِيّ ، وهو على

(١) نكب عنه : عدل وتنحى .

(٢) النقر : القطعة المذابة من الذهب والفضة .

(٣) ذات عرق : مهل أهل العراق ، وهو الحد بين نجد وتهامة .

دين قومه ، فنزل على كنانة بن أبي الحُقَيْق في بني النَّضير من يهود ، فشرب معه ، وشرب معه سَليط بن النُّعمان بن أسلم ـ ولم تحرّم الخمر يومئذٍ ـ وهو يأتي بني النَّضِيْر ويصيب من شرابهم ، فذكر نُعَيْم خروج صَفوان في عِيره وما معهم من الأموال ، فخرج من ساعته إلى النبيّ ﷺ فأخبره ، فارسل رسول الله ﷺ زيد بن حارثة في مائة راكب ، فاعترضوا عِيْر قريش وأصابوها ، وأفلت أعيان قريش وأسروا رجلاً أو رجلين .

وقدم زيد بالعير على النبيّ ﷺ ، فخمسّها ، فكان الخمس يومئذٍ قيمة عشرين ألف درهم ، وقسم ما بقي على أهل السريّة .

وكان في الأسرى ، فُرات بن حَيّان ، فأُتي به ، فأسلم(١) .

وهكذا صعّد النبيّ ﷺ بهذه الغزوة الحصار الاقتصادي على قريش ، فهدّد طريق تجارتهم إلى

---

(١) مغازي الواقدي (١ / ١٩٧ ـ ١٩٨) وطبقات ابن سعد (٢ / ٣٦) سيرة ابن هشام (٢ / ٤٢٩ ـ ٤٣٠) .

العراق أيضاً ، بعد أن هدّد طريق مكّة ـ الشام ، وطريق مكّة ـ الطائف في غزواته وسراياه السابقة .

سريَة زيد إلى سُلَيْم بالجَمُوم[1] .

بعث النبيّ ﷺ إلى بني سُلَيْم بالجَمُوم في شهر ربيع الآخر من سنة ست الهجرية زيداً ، فسار على رأس سريته التي لا نعرف تَعداد رجالها حتى ورد الجَمُوم ناحية (بطن نَخل)[2]عن يسارها ، وبطن نَخل من المدينة على أربعة بُرُد ، فأصابوا عليه امرأة من مُزَيْنَة يقال لها حليمة ، فدلتهم على محلّة من مَحَالّ بني سُليم ، فأصابوا في تلك المحلّة نَعَماً وشاءً وأسرى ، فكان فيهم زوج حليمة المُزَنِيّة . فلما قفل زيد بما أصاب ، وهَبَ رسول الله ﷺ للمُزَنِيّة نفسَها وزوجها ، فقال بلال بن الحارث في ذلك شعراً :

---

(١) الجموم : أرض لبني سليم ، أنظر معجم البلدان (٣ / ١٤٠) .
(٢) بطن نخل : جمع نخلة ، قرية قريبة من المدينة ، على طريق البصرة ، أنظر معجم البلدان (٢ /٢٢١) .

لعمـرُكَ ، مـا أخنى المَسُـول ولاوَنتْ
حليمـةُ حتى راحَ رَكبُهمـا معـاً[1]

وكان الهدف من هـذه السريّـة تأمين المـدينة وهي القاعدة الأمنية للاسـلام ، وفرض سيـطرة المسلمين على القبائل التي حولها ، وتشـديد وطـأة الحصار الاقتصـادي على قريش وحلفائها .

قائد سريةَ العِيص[2]

بعث النبيّ ﷺ زيـداً الى العِيْص ، وبينهـا وبيـن المـدينة أربـع ليالٍ ، وبينهـا وبين ذي المَـرْوَة ليلة ، في جمـادى الأولى سنة ست الهجـريّة ، فقـد بلغ رسول الله ﷺ ، أنّ عِيـراً لقـريش قـد أقبلت من الشّـام ، فبعث زيـد بن حـارثـة في سبعين ومـائـة راكب يتعـرّض لهـا ، فأخذوها وما فيها ، وأخذوا يومئذٍ فضّـة كثيرة لصفـوان بن

---

(١) طبقات ابن سعـد (٢ / ٨٦) .

(٢) العيص : مـوضع في بـلاد بني سليم ، بـه مـاء يقـال لـه : ذنبـان العيص ، أنـظر معجم البلدان (٦/ ٢٤٨) ، بينهـا وبين المـدينـة أربع ليال ، وبينهـا وبين ذي المروة ليلة ، أنـظر طبقات ابن سعـد (٢/ ٨٧) .

أُميّة ، وأسروا ناساً ممن كان في العير ، منهم أبو العاص ابن الربيع زوج زينب بنت رسول الله ﷺ .

وقدم زيد بهم المدينة ، فاستجار أبو العاص بزينب بنت رسول الله ﷺ ، فأجارته . ونادت زينب في الناس حين صلّى رسول الله ﷺ الفجر . « إني قد أجرتُ أبا العاص ! » ، فقال رسول الله ﷺ : « وما علمتُ بشيء من هذا ، وقد أجرنا مَنْ أجَرْتِ » ، وردَّ عليه ما أُخذ منه[1] .

وهكذا شدّد النبيّ ﷺ الخناق في حصاره الاقتصادي ، على قريش التي تعيش على التجارة وتموت بدونها .

قائد سريّة الطُّرف[2]

بعث النبيّ ﷺ زيداً على سرية إلى الطَّرف في

(١) طبقات ابن سعد (٢ / ٨٧) وانظر مغازي الواقدي (٢ / ٥٥٣ ـ ٥٥٥) .

(٢) الطرف : ماء قريب من المرقى دون النخيل ، وهو على ست وثلاثين ميلا من المدينة باتجاه العراق ، انظر معجم البلدان (٦ / ٤٣) .

جمادى الآخرة من سنة ست الهجريّة ، والطرف ماء قريب من المِراض دون النُّخَيل على ستة وثلاثين ميلاً من المدينة طريق البَقرة على المحجّة .

وخرج زيد إلى بني ثعلبة في خمسة عشر رجلاً ، فأصاب نَعماً وشاءً ، وهربت الأعراب ، وصبّح زيد بالنّعم المدينة ، وهي عشرون بعيراً ، ولم يلق كيداً ، وغاب أربع ليالٍ ، وكان شعارهم : أمِتْ ... أمِتْ ....[1] .

وكان هدف هذه السريّة ، تأمين المدينة القاعدة الأمنية للاسلام ، وفرض سيطرة المسلمين على القبائل ، بالهجوم عليها ، لأنّ الهجوم أنجح وسائل الدفاع ، إذ أنّ الأعراب إذا لم يُهاجَموا من المسلمين ، هاجموا المسلمين ، كما هو دأبهم .

قائد سريّة حِسْمَى[2]

بعث النبيّ ﷺ زيداً على سرية إلى حِسْمَى ، وهي

(١) طبقات ابن سعد (٢ /٨٧) ومغازي الواقدي (٢ / ٥٥٥) .
(٢) حسمى : أرض ببادية الشام ، بينها وبين وادي القرى ليلتان ، =

وراء وادي القُرى ، في جمادى الآخرة من السنة السّادسة الهجريّة .

وسبب بعث هـذه السـريّـة ، أنّ دِحْيَة بن خليفـة الكلبي ـ وكان مسلماً أقبلَ من عند قيصر الرُّوم وقد أجاره وكساه ، فلقيه الهُنَيْد بن عارِض وابنـه عارِض بن الهُنَيـد في ناس من بني جُذَام بِحسْمَى ، فقطعوا عليه الطّريق ، ولم يتركوا عليه إلاّ سَمَل ثوب ، فسمع بذلك نفرٌ من بني الضُّبَيْب ، فنفروا إليهم ، واستنقذوا لدحية متاعه .

وقدم دِحية على النبيّ ﷺ ، فأخبره بذلك ، فبعث زيد بن حارثة في خمسمائة رجل ، وردّ معه دِحية .

وكان زيد يسير اللّيل ويكمن النّهار ، ومعه دليل من بني عُـذْرَة ، فأقبـل بهم حتى هجم بهم مع الصُّبـح على القـوم ، فـأغـاروا عليهم وقتلوا فيهم فـأوجعـوا ، وقتلوا الهُنَيد وابنه ، وأغـاروا على ماشيتهم ونَعمهم ونسـائهم ، فـأخـذوا من النَّعم ألف بعيـر ، ومن الشّـاء خمسـة آلاف

= وبين وادي القرى والمدينة ست ليال ، انـظر التفاصيـل في معجم البلدان (٣ / ٢٧٦) .

شاة ، ومن السَّبي مائة من النساء والصبيان .

ورحل زيد بن رِفاعة الجُذامِيّ في نفرٍ من قومه إلى رسول الله ﷺ ، فدفع إلى رسول الله ﷺ ، كتابه الذي كان كتب له ولقومه ليالي قدم عليه فأسلم ، وقال : « يا رسول الله ! لا تُحَرِّمْ علينا حلالاً ولا تُحِلّ لنا حراماً » ، فقال : « كيف أصنع بالقتلى ؟ » ، قال أبو يزيد بن عمرو : « اطلِقْ لنا يا رسول الله مَنْ كان حيًّا ، ومَنْ قُتِل فهو تحت قدميّ هاتين » ، فقال رسول الله ﷺ : « صدق أبو يزيد » .

وبعث النبيّ ﷺ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، إلى زيد بن حارثة ، يأمره أن يخلّي بينهم وبين حُرمهم وأموالهم ، فتوجّه عليّ ، فلقي رافع بن مَكِيْث الجُهَنِي بشير زيد بن حارثة على ناقة من إبل القوم ، فردّها عليٌّ الى القوم ، ولقي زيداً بالفَحْلَتَيْن ، وهي بين المدينة وذي المَرْوَة ، فأبلغه أمر رسول الله ﷺ ، فردّ إلى الناس كلّ ما كان أخذ لهم[1] .

---

(١) طبقات ابن سعد (٢ / ٨٨) ومغازي الواقدي (٢ / ٥٥٥ ـ ٥٦٠) .

وكان الهدف من هذه السرية ، تأديب بني جُذام الذين اعتدوا على دِحية بن خليفة الكلبيّ ، وهم يعلمون أنّه أحد المسلمين ، وليس النبيّ ﷺ بالذي يرضى باعتداء أحد على مسلم من المسلمين ، لأنّ الاعتداء عليه اعتداء على المسلمين كافة .

قائد سريّة وادي القُرى[1]

بعث النبي ﷺ زيد بن حارثة على رأس سرية إلى وادي القُرى في رجب من السنة السادسة الهجريّة[2] ، لتأديب بني فَزارة ، فأصيبت هذه السريّة وتسلّل زيد من بين القتلى وعاد إلى المدينة ، فآلى على نفسه ألاّ يمسّ رأسه غسل جنابة حتى يغزو بني فَزارة[3] .

وفي رواية ، أنّ زيداً خرج في تجارة إلى الشّام ، ومعه بضائع لأصحاب النبيّ ﷺ ، حتى إذا كان دون

---

(١) وادي القرى : واد بين المدينة والشام ، من أعمال المدينة ، كثير القرى ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨ / ٣٧٥) .
(٢) طبقات ابن سعد (٢ / ٨٩) .
(٣) عيون الأثر (٢ / ١٠٨) .

وادي القُرى ومعه ناس من أصحابـه ، لقيه نـاس من بني فَزارة من بني بدر ، فضربوه وضـربوا أصحـابه حتى أن قد قُتلوا ، وأخذوا مـا كان معـه ، ثم استبلّ[1] زيـد ، فعـاد إلى المدينـة[2] ، وهذه الـرواية أقـرب إلى المنـطق والعقل وسير الحوادث .

ويبــدو أنّ المسلمين لم يكتفــوا بقــطع الــطريق التجـاريّة : مكـة ـ الشّام على تجـارة قريش ، بـل أرادوا استغلال هذه الـطريق لتجارتهم بهـدف تحسين أوضاعهم الاقتصـاديّة ، ولكنّهم أخفقـوا في ذلك ، إذ تبيّن لهم أنّ الوقت لا يزال مبكّراً لاستغلال هذه الطريق .

قائد سريّة أم قِرفة بوادي القُرى

بعث النبي ﷺ زيداً على رأس سريّـة إلى أُم قِرْفـة بـوادي القرى على سبـع ليـالٍ من المـدينـة ، في شهـر رمضان من السنّة السّادسة الهجـريّة ، وهي من فَـزارة من بني بدر .

---

(١) استبل : أي برأ .

(٢) مغازي الواقدي (٢ / ٥٦٤) ، وطبقات ابن سعد (٢ / ٩٠) .

وخـرج المسلمـون من المـدينـة ، يكمنـون النهـار ويسيرون اللّيل ، وخرج بهم دليلٌ لهم . ونـذرت بهم بنو بـدر من فَـزارة ، فكــانـوا يجعلون نــاطـوراً[1] لهم حين يُصبحـون ، فينظر على جبـل لهم مشـرفٍ وجـهَ الـطريق الـذي يرون أنّهم يـأتون منـه ، فينظر قـدر مسيـرة يـوم ، فيقول : اسرحوا فلا بأس عليكم هذه ليلتكم !

فلمـا كان زيـد وأصحابـه على مسيرة ليلة ، أخـطأ بهم دليلهم الطريق ، فأخذ بهم طريقاً أُخرى حتى أمسـوا وهم على خطأ . وعرفوا خطأهم ، ثم صمدوا[2] لهم في الليل حتى صبّحوهم ، وكـان زيد نهـاهم عن المطاردة ، ثم أمرهم ألاّ يتفرّقوا ، وقال : « إذا كَبّـرتُ فكبّروا » ، ثم أحاطَ بفزارة في بيوتهم ، وكبّر وكبّروا ، فخرج مَسْلَمَة بن الأكْوَع . فطلب رجلاً منهم حتى قتله ، وأخذ جارية بنت مـالك بن حُـذَيفة بن بـدر وجدهـا في بيت من بيـوتهم ، وهي ابنة أمّ قِرْفة : فاطمة بنت ربيعة بن بدر ، كما أخذوا

---

(1) الناطور : حافظ الكرم ، والمعنى هنا : الراصد .

(2) صمـدوا لهم : أي ثبتـوا لهم وقصـدوهم وانتـظروا غفلتهم ، انـظر النهاية (٢ / ٣٧٤) .

أم قِرْفة فقتلها قيس بن المحسر ، وقتل النعمان وعبيد الله ابني مَسْعَدَة بن حَكَمَة بن مالك بن بدر[1] .

وكانت العرب تقول : « لو كنت أعزّ من أم قرفة »[2] ، لأنها كانت يُعَلّق في بيتها خمسون سيفاً كلّهم لها ذو محرم[3] .

وعاد زيد إلى المدينة ، فقرع باب النبيّ ﷺ ، فخرج اليه مسرعاً واعتنقه وقبّله ، فأخبره زيد بانتصاره وغنائمه .

أما جارية ابنة أم قِرفة ، فقد وهبها مَسْلَمَة بن الأكْوَع لرسول الله ﷺ ، فوهبها لحزْن بن أبي وَهْب خال النبيّ ﷺ فولدت له امرأةً ليس له منها ولد غيرها[4] .

---

(١) طبقات ابن سعد (٢ / ٩٠ ـ ٩١) ، وفي مغازي الواقدي (٢ / ٥٦٥) :

قتل عبد الله بن مسعدة ، وقتل قيس بن النعمان بن مسعدة بن حكمة بن مالك بن بدر .

(٢) عيون الأثر (٢ / ١٠٨) .

(٣) عيون الأثر (٢ / ١١٠) .

(٤) طبقات ابن سعد (٢ / ٩٠ ـ ٩١) ومغازي الواقدي (٢ / ٥٦٤ ـ ٥٦٥) وانظر عيون الأثر (٢ / ١٠٧ ـ ١٠٨) .

وهكـذا أخـذ زيـد بثأر المسلمين الـذين قتلتهم فَـزارة ، وأعاد هيبـة المسلمين إلى تلك المنطقـة ، ولقّن فزارة درساً لا ينسونه أبداً كما لقن غيرها من القبائل مثل هذا الدّرس .

قائد سرية مُؤْتَة[1]

بعـث النبيّ ﷺ زيـداً على سـريـة إلى مُؤْتَـة في جمادى الأولى سنة ثمان الهجرية ، وكان سبب بعث هذه السريـة ، أن النبي ﷺ بعث الحـارث بن عُمَيْر الأَزْدي أحـد بني لِهْبٍ إلى ملك بُصْـرَى[2] بكتـاب ، فلمـا نـزل مُؤْتَـة عرض لـه شُرَحْبِيـلُ بن عمرو الغَسّاني فقتله ، ولم يقتـل لرسول الله ﷺ ، رسـولٌ غيره ، فاشتد ذلك عليه ، وندب الناس فأسرعوا وعسكروا بـالجُرْف[3] ، وهم ثـلاثة

(١) مؤتة : قرية من قرى البلقاء في حدود الشـام ، انظر التفـاصيل في معجم البلدان(٨ / ١٩٠) ، وهي بأدنى البلقاء دون دمشق ، انظر طبقات ابن سعد (٢ / ١٢٨) . والبلقاء ، هي الأردن الحالية .

(٢) بصرى : مدينـة من أعمال دمشق وهي قصبـة كورة حـوران ، أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٢ / ٢٠٨) .

(٣) الجرف : موضع على ثلاثـة أميال من المـدينة نحـو الشام ، انـظر التفاصيل في معجم البلدان (٣ / ٨٦) .

آلاف ، فقال رسول الله ﷺ : « أمير النّاس زيد بن حارثة ، فإن قُتِل فجعفر بن أبي طالب ، فإن قُتِل فعبد الله بن رَواحة ، فإن قُتِل فليرتَضِ المسلمون بينهم رجلاً فيجعلوه عليهم » .

وعقد لهم رسول الله ﷺ ، لواءً أبيض دفعه إلى زيد ، وأوصاهم رسول الله ﷺ ، أن يأتوا مقتل الحارث بن عُمَيْر وأن يَدْعُوا مَنْ هناك إلى الاسلام ، فإن أجابوا وإلا استعانوا عليهم بالله وقاتلوهم . وخرج مشيّعاً لهم حتى بلغ (ثنيّة الودَاع)[1] ، فوقف وودّعهم ، فلما ساروا من مُعَسكرهم نادى المسلمون : دفعَ الله عنكم وردّكم صالحين غانمين ! فقال عبد الله بن رَوَاحة :

لكنّني أسأل الرحمنَ مغفرةً
وضَرْبةً ذات فرع تقذف الزّبدا[2]

ولما فصلوا من المدينة ، سمع العدو بمسيرهم ، فجمعوا لهم ، وقام فيهم شُرحبيل بن عمرو ، فجمع أكثر

---

(١) ثنية الوداع : ثنية مشرفة على المدينة ، سميت لتوديع المسافرين ، انظر معجم البلدان (٣ / ٢٥) .
(٢) ذات فرع : أي ذات سعة .

من مائة ألف ، وقدّم الطلائع أمامه .

ونـزل المسلمـون (مُعَـان)[1] من أرض الشّـام ، وبلغ الناسَ أنّ هِرَقْل قد نزل (مَآب)[2] من أرض البلقاء في مائة ألف من بَهْراء ووائل وبَكْر ولَخْم وجُذَام .

وأقـام المسلمـون ليلتين لينـظروا في أمـرهم ، وقـالوا : نكتب إلى رسـول الله ﷺ ، فنخبره الخبـر . . . فشجّعهم عبـد الله بن رَواحة على المُضِيّ ، فمضـوا إلى مُؤْتَة .

ووافاهم المشركون ، فجاء مـا لا قبل لأحـدٍ به من العـدد والسّلاح والكُـراع والديبـاج والحـريـر والـذّهب ، فالتقى المسلمون والمشركون ، وقاتل الأمراء يومئـذ على أرجلهم ، فـأخذ اللّواء زيـد بن حارثـة فقـاتـل ، وقـاتـل المسلمون معه على صفـوفهم ، حتى قُتِل طعنـاً بالـرّماح رحمـه الله . ثم أخذ اللواءَ جعفـر بن أبي طالب ، فنـزل

---

(١) معان : مدينة بطرف بادية الشام تلقاء الحجاز ، انظر معجم البلدان (٨ / ٩٣) .

(٢) مـآب : مدينـة في طرف الشـام من نـواحي البلقـاء ، انـظر معجم البلدان (٧ / ٤٩) .

عن فرس له شقراء ، فعرقبها[1] ، فكانت أوّل فرس عُرْقِبت في الاسلام ، وقاتل حتى قُتل ، رضي الله عنه ، ضربه رجل من الروم فقطعه بنصفين ، فوُجد في أحد نصفيه بضعة وثلاثون جرحاً ، ووجد في بَدَن جعفر اثنتان وسبعون ضربةً بسيف وطعنةً برمح . ثم أخذ اللواء عبد الله بن روَاحة ، فقاتل حتى قُتل رضي الله عنه .

واصطلح الناس على خالد بن الوليد ، فسحب قوّات المسلمين من ساحة المعركة ، وحمى بالسّاقة انسحابهم ، فكانت عملية الانسحاب التي طبقها خالد من العمليات الانسحابية الفذة في تاريخ الحروب .

ولما سمع أهل المدينة بجيش مُؤتَة قادمين ، تلقّوْهم بالجرف ، فجعل الناس يُحْثُون في وجوههم الترابَ ويقولون : يا فُرّار ! أفَررتم في سبيل الله ؟ فيقول رسول الله ﷺ : ليسوا بفُرار ، ولكنّهم كُرّار إن شاء الله[2] .

---

(١) عرقبها : مقطع عرقوبها ، وعرقوب الدابة في رجلها .
(٢) طبقات ابن سعد (٢ / ١٢٨ ـ ١٣٠) وانظر مغازي الواقدي (٢ / ٧٥٥ ـ ٧٦٩) .

وهكـذا ضحّى زيد بـروحه رخيصـة في سبيـل الله مُقبلاً غير مـدبر ، رافعـاً لواء الاسـلام عاليـاً ، لـم يعفّره بـالتراب في حيـاتـه ، فلمـا استُشهـدَ لم يُعفّـر بـالتـراب المجبول بدم الشهيد ، بل رفعه فوراً القائد الجديد .

الانسان

استُشهد زيد في مُؤْتة في جمادى الأولى سنـة ثمان الهجـريّة[1] (٦٢٩ م) ، وكـان النبيّ ﷺ أكبـر من زيـد بعشـر سنين[2] ، أي أن زيداً ولـد سنة (٥٨١ م) ، لأنّ النبيّ ﷺ ولـد عام الفيـل وهـو سنـة (٥٧١ م) ، ومعنى ذلـك أنّ زيداً عـاش ثمانيـاً وأربعين سنـة شمسيّـة ونحـو خمسين سنة قمرية[3] .

وهنـاك نصوص على أنّـه استُشهـد ولـه من العمـر خمس وخمسون سنة[4] ، والـرواية الأولى أرجـح ، لأنها

---

(١) تهذيب ابن عساكر (٥ / ٤٥٧) .

(٢) الاستيعـاب (٢ / ٥٤٣) وتهـذيب ابن عسـاكـر (٥ / ٤٥٧) وأنساب الأشراف (١ / ٤٧٠) .

(٣) أنساب الأشراف (١ / ٤٧٣) .

(٤) الاصابة (٣ / ٢٦) وتهذيب ابن عساكر (٥ / ٤٦١) .

المعتمدة عند أكثر المؤرخين المعتمدين .

وكان زيد رجلاً قصيراً ، آدم شديد الأدمة ، في أنفه فطس[1] ، وفي رواية أنّه كان أبيض أحمر[2] ، والتناقض بين الروايتين واضح ، والرواية الأولى هي الصحيحة ، لاعتمادها من أكثر المؤرخين الثقات .

ولما أتى رسول الله ﷺ خبر قتل جعفر وزيد بكى وقال : « أخواي ومؤنساي ومحدِّثاي » ، وشهد له رسول الله ﷺ بالشهادة .

ولما أصيب زيد ، أتى النبيّ ﷺ أهله ، فجهشت زينب بنت زيد في وجهه ، فبكى رسول الله ﷺ حتى انتحب ، فقال له سعد بن عُبادة : « يا رسول الله ! ما هذا ؟ ، قال : « هذا شوق الحبيب إلى حبيبه »[3] ، ولا عجب في ذلك ، فقد كان زيد حِبَّ رسول الله ومولاه[4] .

---

(١) أنساب الأشراف (١ / ٤٧٠) وتهذيب ابن عساكر (٥ / ٤٥٧) وطبقات ابن سعد (٣ / ٤٤) .

(٢) أسد الغابة (٢ / ٢٢٧) .

(٣) أنساب الأشراف (١ / ٤٥٣) .

(٤) تهذيب ابن عساكر (٥ / ٤٥٤) .

وقد دعا النبيّ ﷺ لزيد وجعفر وابن روَاحة بعد استشهادهم ، فقال : « اللهمّ اغفر لزيد ، اللّهم اغفر لزيد ، اللّهم اغفر لزيد ، اللّهم اغفر لجعفر وعبد الله بن روَاحة»[1] .

وقال حسّان بن ثابت يرثي زيداً :

عَيْنِ جودي بدمعكِ المَنْزُورِ
واذكُري في الرَّخاءِ أهلَ القُبورِ[2]
واذكري مُؤْتَةً وما كانَ فيها
يومَ راحُوا في وقْعَةِ التَّغْوِيرِ[3]
حينَ راحوا وغادروا ثَمَّ زَيْداً
نِعْمَ مَأوَى الضَّرِيكِ والمأسورِ[4]
حِبَّ خيرِ الأنامِ طراً جميعاً
سيِّدِ الناسِ حبّه في الصدورِ
ذاكُمُ أحمدُ الذي لا سِواهُ
ذاكَ حُزني له معاً وسروري

(١) طبقات ابن سعد(٣ / ٤٦) .
(٢) المنزور : القليل ، وذلك لأنه بكى حتى فرغ دمعه .
(٣) التغوير : الاسراع ، يريد الانهزام .
(٤) الضريك : الفقير .

إنَّ زيداً قد كان مِنّا بأمْرٍ
ليس أمْرَ المكَذِّبِ المغرور
ثم جودي للخزرجيِّ بدمعٍ
سيِّداً كان ثَمَّ غيرَ نَزُورِ[1]
قد أتانا من قتلهم ما كفانا
فَبِحُزْنٍ نَبِيْتُ غيرِ سرور[2]

وقد كان لزيد صلة مباشرة متينة بالنبيّ ﷺ ، فقد آثره زيد على أهله ، كما ذكرنا في قصّة محاولة فدائه ، فتبنّاه رسول الله ﷺ . قال عبد الله بن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه في زيد : « ما كنّا ندعوه إلاّ زيد بن محمّد ، حتى نزلت : (ادْعُوْهُم لآبائِهِم)[3] ، فدُعي : زيد بن حارثة[4] » ودُعي الأدعياء إلى آبائهم ، فدعى المِقداد بن عمرو ، وكان يقال له قبل ذلك المِقداد بن

---

(١) أراد بالخزرجي : عبد الله بن رواحة والنزور : القليل العطاء .
(٢) سيرة ابن هشام(٣ / ٤٤٦) وتهذيب ابن عساكر (٥ / ٤٦٢) .
(٣) الآية الكريمة من سورة الأحزاب (٣٣ : ٥) .
(٤) طبقات ابن سعد (٣ / ٤٣) وأسد الغابة (٢ / ٢٢٦) والاصابة (٣ / ٢٥).

الأسود ، لأنّ الأسود بن عبد يَغوث كان قد تبنّاه[1] .

وكان زيد يسمى : زيد الحِبّ ، لأنّه حبّ رسول الله ﷺ[2] وأبو حِبّه[3] « أُسَامة بن زيد الذي فرض له عمر في العطاء أكثر مما فَرض لابنه عبد الله بن عمر ، وعلّل ذلك عمر لابنه : « إنّه كان أحبّ إلى رسول الله منك ، وإنّ أباه كان أحبّ إلى رسول الله من أبيك »[4] .

وقال رسول الله ﷺ : « يا زيد ! انت مولايَ ومني وإليّ وأحبّ القوم إليّ »[5] ، وقال لزيد : « أنت أخونا ومولانا » ، وقال : « أنت مولائي ، ومني ، وأحبّ القوم إليّ »[6] .

وكانت عائشة أم المؤمنين تقول : « ما بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة في جيش قط إلا آثره عليهم ، ولو

---

(١) الاستيعاب (٢ / ٥٤٥) .
(٢) أنساب الأشراف (١ / ٤٦٩) .
(٣) تهذيب الأسماء واللغات (١ / ٢٠٢) .
(٤) تهذيب ابن عساكر (٥ / ٤٦١) .
(٥) طبقات ابن سعد (٣ / ٤٤) .
(٦) أنساب الأشراف (١ / ٤٧٠) .

بقي بعده استخلفه »[١] .

وكان النبيّ ﷺ إذا لم يَغْزُ لم يعطِ سلاحه إلاّ لعليّ أو لزيد[٢] .

ذلك مبلغ حبّ النبيّ ﷺ لزيد وتقديره له ، ولن يكون هذا الحبّ وهذا التقدير إلاّ لشخصيّة لها سجاياها المتميِّزة وإخلاصها النّادر وإيمانها العميق .

وزوَّج النبيّ ﷺ ابنة عمّته زينب بنت جَحْش زيداً وهي التي تزوّجها رسول الله ﷺ بعد زيد[٣] ، فتكلّم المنافقون والمشركون وقالوا : « محمّد يحرِّم نساء الولد ، وقد تزوّج امرأة ابنه » ، فأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿ ما كانَ محمّدٌ أبا أَحد من رِجَالِكُمْ ولكِنْ رسولَ الله وخاتَمَ النَّبِيِّينَ ، وكانَ الله بكلِّ شَيءٍ عَلِيماً ﴾[٤] .
ونزلت : ﴿ ادْعُوهُمْ لآبائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عند الله فإنْ لَمْ

---

(١) طبقات ابن سعد (٣ / ٤٦) .
(٢) تهذيب ابن عساكر (٥ / ٤٥٩) .
(٣) أسد الغابة (٢ / ٢٢٦) .
(٤) الآية الكريمة من سورة الأحزاب (٣٣ : ٤٠) .

تَعْلَمُوا آباءَهُمْ فاخْوانُكُمْ في الدِّيْنِ وَمَوالِيكمْ ﴾[1] ، فدعي يومئذٍ زيد بن حارثة ، ونُسب كلّ مَنْ تَبَناه رجل من قريش إلى أبيه[2] .

وكانت عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها تقول : « لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً من الوحي لكتم هذه الآية : ﴿ وإذْ تَقُولُ لِلّذِي أَنْعَمَ الله عليهِ وأنْعَمْتَ عَلَيْهِ : أَمْسِكْ عليكَ زَوْجَكَ واتّقِ الله ، وتُخْفِي في نَفْسِكَ ما الله مُبْدِيهِ ، وَتَخْشَى النّاسَ والله أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ، فلمّا قَضى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً زَوَّجْناكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ على المؤْمِنِينَ حَرَجٌ في أزواج أدْعِيائِهِم إذا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً ، وكانَ أَمْرُ الله مَفْعُولا ﴾[3] ، فانّ رسول الله ﷺ لما تزوّجها - يعني زينب بنت جحش - قالوا : « إنّه تَزَوج حليلة ابنه »[4] ، فإنّ العرب إذا تبنّت غلاماً أنزلته منزلة الولد حتى في الارث وتحريم نكاح زوجته ، وكان من سُنّة النبيّ ﷺ

---

(١) الآية الكريمة من سورة الأحزاب (٣٣ : ٥) .
(٢) أنساب الأشراف (١ / ٤٦٩) .
(٣) الآية الكريمة من سورة الأحزاب (٣٣ : ٣٧) .
(٤) أسد الغابة (٢ / ٢٢٦) .

وطريقته ، إذا نسخ الله شيئاً من أمرِ الجاهلّية أن يُسرع ﷺ إلى الفعل ، ليقتدى به ، فلما زوّج زينب بنت جحش من زيد وأذن الله بنسخ عادة الجاهليّة ، أمر الله أن يطلّقها زيد ويتزوجها رسول الله ﷺ ليبطل عادة الجاهلية بالفعل ، للعلّة التي ذكرها الله في كتابه العزيز ؛ : (لِكَيْ لا يَكُوْنَ على المؤمنينَ حَرَجٌ في أزواجِ أدعيائهم)[1] .

وروي عن النبي ﷺ أنّه قال : « أحبُّ النّاس إليَّ مَنْ أنْعَمَ الله عليه وأنعَمتُ عليه » - يعني زيد بن حارثة - أنعم الله عليه بالاسلام ، وأنعم عليه رسول الله ﷺ بالعتق[2] .

ومن الواضح ، أنّ النبيّ ﷺ زوّج زيداً زينب بنت جحش ، وهي ابنة عمّته ، ليبطل عادة جاهليّة في الترفّع على الموالي وعدم تزويجهم الحرائر وبنات الأشراف ، وكان زواجها بزيد شديداً على نفسها ، قالت زينب رضي

---

(١) تهذيب ابن عساكر (٥ / ٤٥٨ - ٤٥٩) .
(٢) الاستيعاب (٢ / ٥٤٦) .

الله عنها : « خطبني عدّة من قريش ، فأرسلت أختي حَمْنَة إلى رسول الله ﷺ استشيره ، فقال : أين هي ممن يعلّمها كتاب الله وسنّة نبيّها ؟ قالت : ومَنْ هو يا رسول الله ؟ قال : زيد ! فغضبت حمنة غضباً شديداً وقالت . يا رسول الله ! أتزوّج ابنة عمّتك مولاك !! فجاءت فأخبرت زينب ، فغضبت أشدّ من غضب أختها وقالت أشدّ من قولها ، فأنزل الله تعالى : ﴿ ما كانَ لمؤمنٍ ولا مؤمنةٍ إذا قضى الله ورسوله أمراً أنْ تكونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ من أمرِهم ﴾[1] ، فأرسلت زينب إلى رسول الله ﷺ تقول : زوّجني مَنْ شئت ، فزوّجني من زيد»[2].

لقد أبطل النبيّ ﷺ تقاليد الترفّع عن تزويج الموالي بالحرائر من بنات الأشراف وتقاليد تحريم الزواج بامرأة الابن بالتبني ، وأعتقد أنّه لو لم يطبّق إبطال تلك التقاليد عملياً بنفسه وعلى نفسه لصعب على غيره ، وهي تقاليد جاهليّة بالية أبطلها الاسلام ، فجعل التفاضل

---

(١) الآية الكريمة من سورة الأحزاب (٣٣ : ٣٦) .
(٢) تهذيب ابن عساكر (٥ / ٤٥٨) .

بالتقوى لا بالأحساب وبالتمّسك بالدين لا بالتمسّك بالأنساب .

ولست أنسى حديثاً سمعته في المدينة المنورة من شيخ معروف من الشيوخ المسلمين ، يستنكر فيه إقدام شخصيات من عوائل عريقة في المدينة على تزويج قسم من بناتهم الشريفات برجالٍ قدّمهم علمهم ومناصبهم الحكومية وأخرهم نسبهم وحسبهم ، وقد مضى على الاسلام خمسة عشر قرناً ، وذهبت تقاليد الجاهلية إلى غير رجعةٍ ، وهذا يدل على مبلغ التضحية التي أقدم عليها النبيّ ﷺ وعظم الشجاعة التي حققها باقدامه على زواج زينب من مولاه ، وزواجها بعد أن طلّقها مولاه .

إنّ التضحية والشجاعة المعنويتين اللتين تحمّلهما الرسول الأعظم عليه أفضل الصّلاة والسّلام في قصّة زينب بنت جحش رضي الله عنها لا تقلاّن عن أي تضحية وشجاعة ماديتين إن لم تكونا أعظم أثراً وأبلغ تأثيراً ، فكان القدوة الحسنة والمثال الشخصي في تطبيق أصعب تشريعات الاسلام على نفسه قبل غيره ، فاجتث

بذلك تقاليد جاهلية بالية ، ولكن لا تزال آثارها باقية بين العرب المسلمين حتى اليوم ولا يطبق تطبيق اجتثاثها على نفسه من العرب المسلمين غير المؤمنين حقًّا من الطيبين الأخيار .

وما دمنا قد تطرقنا إلى زواج زيد بالسيدة زينب ، فلا بد من إكمال الحديث عن زواجه بنسائه الأخريات .

فقد زوّجه النبيّ ﷺ مولاته أم أيْمَن ، فولدت له أُسامة بن زيد[1] حِبّ رسول الله وابن حِبِّه وهي حاضنة رسول الله ﷺ ومولاته ، وكان اسم أم أيمن : بَرَكة ، كانت قد تزوجّت بمكّة في الجاهلية عُبَيْد بن عمرو بن بلال بن أبي الحرباء بن قيس بن مالك بن ثعلبة بن جَشَم بن مالك بن سالم بن غَنْم بن عوف بن الخزرج ، فولدت له : أَيْمن بن عُبَيْد ، فكُنيت به . واستُشهدَ أيمن يوم حُنَيْن ، ومات عُبَيْد عن أم أيمن ، فكانت فارغةً لا زوج لها ، فزوّجها رسول الله ﷺ زيداً[2] .

(١) أسد الغابة (٢ / ٢٢٦) والاستيعاب (٢ / ٥٤٦) والاصابة (٣ / ٢٥) .

(٢) أنساب الأشراف (١ / ٤٧١) .

وتـزوّج زيد أمّ كلثـوم بنت عُقبة بن أبي مُعَيْط[1] ، فقد أقبلت أمّ كلثوم بنت عُقْبَة بن أبي مُعَيْط ، وأمّها أرْوَى بنت كُـرَيْز بن ربيعـة ، وأمّ أروى هي أم حكيم البيضاء ، بنت عبـد المـطّلب ـ مهـاجـرة إلى النبيّ ﷺ ، فخـطبهـا الـزُّبير بن العـوّام ، وزيد بن حـارثة ، وعبـد الـرحمن بن عَـوْف ، وعمرو بن العـاص ، فاستشـارت أخـاهـا لأمّهـا عثمـان بـن عـفـان ، فـأشـار أن تـأتـي النـبيّ ﷺ ، فأتته ، فأشار عليها بزيد بن حارثة ، فتزوّجته ، فولدت له زيـداً ورُقَيّة ، فهلك زيـد وهو صغيـر ، ومـاتت رُقَيّـة في حجـر عثمان . وطلّق زيـد أمّ كلثوم ، فخلف عليهـا عبد الرحمن بن عوف ، ثم الزُّبير ، ثمّ عمرو بن العاص[2] .
وتزوّج هند بنت العـوّام أخت الزُّبيـر[3] ، وكان قـد تزوج قبلها دُرَّة بنت أبي لَهَب ثم طلّقها[4] .

وتسلسـل زوجات زيـد بحسب الأقدميّـة في زواجه

---

(١) المحبر (٤٤٦) وجمهرة أنساب العرب (١١١) .
(٢) أنساب الأشراف (١ / ٤٧١) وانظر المحبر (٤٤٦) .
(٣) الاصابة (٣ / ٢٥) .
(٤) أنساب الأشراف (١ / ٤٧١) .

بهن ، أم أيمن مولاة النبيّ ﷺ وحاضنته ، ثم زينب بنت جحش ، ولما طلّق زينب زوّجه أمّ كلثوم بنت عُقْبَة ، ثم طلّق أمّ كلثوم وتزوّج دُرَّة بنت أبي لَهَب بن عبد المطّلب ، ثم طلقها وتزوّج هند بنت العوّام أخت الزُّبير[1] وهكذا سعى النبيّ ﷺ أنّ يزوّج زيداً كرائم النساء وأقربهن نسباً به ، لأنّه حِبّه ومؤتمنه وموضع ثقته ، ولكي يجتث تقاليد جاهلية بالية في الزواج ، ولكنّ بعض المسلمين عادوا إلى تلك التقاليد الجاهلية البالية ، فعادت إلى الحياة من جديد .

وقد استخلف النبيّ ﷺ زيداً على المدينة المنوّرة مرتين : المرة الأولى في خروجه إلى غزوة (بُواط)[2] في شهر ربيع الأول سنة اثنتين الهجريّة[3] . والمرّة الثانية في غزوة بني المُصْطَلق من خُزاعة في (المُرَيْسِيْع)[4]

---

(١) الأصابة (٣ /٢٦) .

(٢) بواط : جبل من جبال جهينة بناحية رضوى ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢ / ٢٩٧) .

(٣) أنساب الأشراف (١ / ٢٨٧) .

(٤) المريسيع : اسم ماء من ناحية قديد ، انظر التفاصيل في معجم=

قرب مكة[1] التي كانت في شهر شعبان سنة خمس الهجريّة[2] ، وهذا دليل على اعتماد النبيّ ﷺ على كفاية زيد الادارية .

وأوفده النبيّ ﷺ من المدينة إلى مكّة مع أبي رافع مولاه ، فحملا سَوْدة بنت زَمْعَة ، وفاطمة بنت النبيّ ﷺ ، وأمّ كلثوم ابنة النبيّ ﷺ ، فقدم زيد وأبو رافع بزوج النبيّ ﷺ وابنتيه المدينة والمسجد يُبْنى[3] . وأوفده مع رجل من الأنصار إلى مكّة لحمل زينب ابنة النبيّ ﷺ إلى المدينة ، وقال لهما : « كونا ببطن (يَأجِج)[4] حتى تمرّ بكما زينب ، فتصحباها حتى تأتياني بها » ، فخرجا إلى مكّة بعد غزوة بدر الكبرى بشهر أو قريب منه ، فاستلمها زيد وصاحبه ، وقدما بها على رسول الله ﷺ[5] وهذا دليل على ثقته العالية بأمانة زيد وحسن تصرّفه

= البلدان (٨ / ٤١) .

(١) أنساب الأشراف (١ / ٣٤٢) وتهذيب ابن عساكر (٥ / ٤٥٩) .

(٢) أنساب الأشراف (١ / ٣٤١) .

(٣) أنساب الأشراف (١ / ٤١٤) .

(٤) يأجج : اسم مكان على ثمانية أميال من مكة .

(٥) أنظر التفاصيل في سيرة ابن هشام (٢ / ٢٩٧ ـ ٢٩٩) وأنساب الأشراف (١/٣٩٧ ـ ٣٩٨) وابن الأثير (٢/ ١٣٤) .

ورجاحة عقله وشجاعته النادرة .

ولم يُسَمِّ الله سبحانه وتعالى أحداً من أصحاب النبيّ ﷺ وأصحاب غيره من الأنبياء إلاّ زيد بن حارثة ، قال تعالى : « فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا »[1] .

روى أربعة أحاديث عن النبيّ ﷺ[2] ، وفي رواية أخرى أنه روى حديثين[3] فقط .

ومضى أبو أُسامة حِبّ رسول الله ﷺ وأبو حِبّه إلى جوار ربه بعد أن عاش خمسين سنة قمرية ، كان فيها منذ عَقِل إلى جوار رسول الله ﷺ المولى والأخ والحبيب ، فأدى ما عليه من واجبات جسام كأحسن ما يكون الأداء ، فاستحق تقدير النبيّ ﷺ وحبه ورضاه ، وتقدير المسلمين وحبّهم ورضاهم في الماضي والحاضر والمستقبل ، وكان ولا يزال وسيبقى أسوة حسنة للمؤمنين المخلصين الصادقين[4] .

---

(١) أسد الغابة (٢ / ٢٢٧) وتهذيب الأسماء واللغات (١ / ٢٠٢) .
(٢) الآية الكريمة من سورة الأحزاب (٣٣ : ٣٧) .
(٣) أسماء الصحابة الرواة (٢٩١) .
(٤) تهذيب الأسماء واللغات .

وقد ترك زيد آثاره الباقية في حياة النبيّ ﷺ وأهل بيته ، كما ترك آثاره الباقية في خدمة الدين الحنيف داعياً ومجاهداً ، وكان مع النبيّ ﷺ في السّراء والضرّاء وفي السّلام والحرب ، رضي الله عنه وأرضاه .

القائد

بعد عودة النبيّ ﷺ من حَجّة الوَداع ، أقام بالمدينة بقيّة ذي الحجّة والمحرّم وصفر من السنة الحادية عشرة الهجريّة (٦٣٢ م) ، فأمر بتجهيز جيش كبير فيه أبو بكر الصديق وعمر الفاروق وسعد بن أبي وقّاص وأبو عُبَيْدَةَ بن الجَرَّاح رضي الله عنهم ، وجعل هذا الجيش بأمرة أُسامة بن زيد ، فتجهّز الناس ، وأوعب[١] مع أُسامة المهاجرون الأولون[٢] ، وأمر رسول الله ﷺ أسامة أن يوطىء الخيل تخوم البَلْقَاء والدَّاروم[٣] من أرض فلسطين .

---

(١) أوعبوا معه : أي خرجوا جميعهم للغزو .

(٢) سيرة ابن هشام (٤ / ٣١٩) وطبقات ابن سعد (٢ / ١٩٠) .

(٣) الداروم : قلعة بعد مدينة غزة للقاصد إلى مصر ، الواقف فيها يرى =

وتأخّر تجهيز هذا الجيش لمرض النبيّ ﷺ ، فخرج عاصباً رأسه حتى جلس على المنبر ، ثم قال ، : « أيها الناس ! انفذوا بعث أُسامة ، فلعمري لئن قلتم في إمارته ، لقد قلتم في إمارة أبيه من قبله ، وإنه لخليق للامارة ، وإنْ كان أبوه لخليقاً لها »[1] ، وفي رواية الامام البخاري ، أنّ النبيّ ﷺ : « بعث بعثاً وأمَّرَ عليهم أُسامة بن زيد ، فطعن بعض النّاس في إمارته ، فقال النبيّ ﷺ « أن تَطْعُنُوا في إمارته ، فقد كنتم تَطْعُنون في إمارة أبيه من قبلُ . وأيْمُ اللَّهِ ، إنْ كان لخليقاً للامارة ، وإن كان لمن أحبّ الناس إليّ ، وإنَّ هذا لمن أحبّ النّاس إليّ بعده »[1] ، وهذا تقويم لكفاية زيد القيادية وكفاية ابنه أُسامة القيادية أيضاً ، يفوق كلّ تقويم ، لأنّه تقويم النبيّ ﷺ الذي لا يعادله ولا يقاربه أيّ تقويم آخر .

= البحر ، إلا أن بينها وبين البحر مقدار فرسخ ، انظر معجم البلدان (٤ / ١٣) .

(١) طبقات ابن سعد (٤ / ٦٨) .

(٢) فتح الباري بشرح البخاري (٧ / ٦٩) ، وانظر الاصابة (٣ / ٢٦) وتهذيب ابن عساكر (٥ / ٤٦٠) .

وقد كانت عائشة أمّ المؤمنين أقرب المقرّبين للنبي ﷺ وأعرفهم به تقول : « ما بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة في جيش قطّ إلاّ أمّره عليهم »[1] ، وتقول : « ما بعث رسول الله ﷺ زيدَ بن حارثة في جيش قطّ إلاّ أمّره عليهم ، ولو بقي بعده لاستخلفه »[2] .

ذلك هو مبلغ تقدير النبيّ ﷺ لكفاية زيد القيادية وثقته الكاملة به واعتماده المطلق عليه ، وهو تقدير عظيم وثقة بالغة واعتماد هائل ، استحقّه زيد بمزاياه القياديّة أولاً وقبل كل شي فما كان النبيّ ﷺ يولي ثقته الكاملة إلاّ لمن يستحقهابجدارة ، وكان يبني الانسان المسلم بالعقيدة الرّاسخة ، والأسوة الحسنة التي يضربها للمسلمين كافة بشخصه الكريم ، وبتولية الرجل المناسب للعمل المناسب ليقود الأمة أفضل رجالها عقيدة واقتداراً بالنسبة للواجبات والمسؤوليات التي يتقلّدونها .

فما الذي يستطيع القادة أن يتعلموه من سجايا زيد القياديّة ؟

---

(١) رواه النسائي ، أنظر فتح الباري بشرح البخاري (٧ / ٦٩) .
(٢) طبقات ابن سعد (٣ / ٤٦) وتهذيب ابن عساكر (٥ /٤٦١) .

كـان من الرمـاة المعدودين المـذكـورين[1] من بين أصحاب النبي ﷺ ، أي أنّه كان هدّافاً من الهدّافين كمـا نطلق على أمثاله في المصطلحات العسكريـة الحديثـة ، وقد استغلّ هذه المزية في غزوة بدر الكبرى ، فقتل أحد أبرز سادات قريش ممن ذكرهم المؤرخـون ، وقتل غيـره ممن أغفل التاريخ ذكرهم . كما استغلّ هـذه المزيّـة في الغـزوات التي شهـدهـا مـع النبيّ ﷺ وهي غـزوة بـدر والخنـدق والحُدَيبِيَة وخَيْبَر[2] وغيـرها ، كمـا استغلها في السّرايا التي قـادها بـأمر النبيّ ﷺ ، وهي تسـع سرايـا[3] ورد ذكرها في هذا البحث .

وكان من الفرسان الماهرين ، تدرب على الفروسية كـأيّ عربيّ آخـر في محيطه ، فبـرع بهـا وأتقنهـا إتقـانـاً متميّزاً .

ومن دراسـة السرايـا التي قادهـا زيـد ، تـظهـر لنـا

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات (١ / ٢٠٢) وتهذيب ابن عساكر (٥ / ٤٥٩) وطبقات ابن سعد (٣ / ٤٥) .
(٢) تهذيب ابن عساكر (٥ / ٤٥٩) .
(٣) طبقات ابن سعد (٣ / ٤٥) وتهذيب ابن عساكر (٥ / ٤٥٩) .

بوضوح أنّها (غارات) لها تأثير معنوي على الأعداء بالدرجة الأولى ، وكان النبيّ ﷺ يتوخّى من تلك السرايا إثبات قوّة المسلمين عمليّاً ، حتى يحول دون مهاجمة المسلمين من أولئك الأعداء ، وكان بهذه السّرايا ليطبّق الفكرة السوقيّة المعروفة : « الهجوم أنجع وأنجح وسائل الدّفاع »[1] .

لقد كان واجب زيد في سراياه ، هو خوض معركة معنويات بالدّرجة الأولى ، تعتمد على المباغتة والاندفاع والحرب الخاطفة ، ومثل هذا الواجب بحاجة إلى قائد يتميّز بالشّجاعة الخارقة التي تضمن الاقدام والاندفاع ، ويتميّز بالعقيدة الرّاسخة التي تستهين بالاخطار . ويتميّز بالعقليّة الرّاجحة التي تتبصّر بالعواقب ، ويتميّز بعد كلّ ذلك بالفتوّة التي تتحمّل المشاق ولا تبالي بالأهوال .

وقد لمسنا شجاعة زيد في الغزوات التي شهدها مع النبيّ ﷺ وفي سراياه التي قادها ، ولمسنا شجاعته

---

(١) انظر الكتب العسكرية الرسمية حول القضايا السوقية والتعبوية . .

في الواجبات الأخرى التي ألقاها في عاتقه النبيّ ﷺ في استصحاب بناته وزوجته في الهجرة ، في وسط يعجّ بالاعداء والحاقدين والموتورين من المشركين .

وقد نشأ زيد في بيت النبيّ ﷺ فآمن به أوّل مَنْ آمن أو مع أوّل من آمن ، وأصبح مستعداً للتضحية بكل شيء في سبيل عقيدته التي آمن بها .

أما عقليته الرّاجحة ، فقد ظهرت بوادرها منذ نعومة أظفاره ، وما تفضيله النبيّ ﷺ على أبيه وإخوته وعمّه وآل بيته ، إلاّ نموذجاً من نماذج عقليته الرّاجحة الحصينة وطالما استشاره النبيّ ﷺ في معضلات الحرب والسّلام .

أما شبابه وفتوته ، فيكفي أن نذكر أنّه مات في الخمسين من عمره ، وهو في أوج قوّته وعطائه .

وما أشبه سماته القياديّة تلك ، بسمات قيادة ابنه أسامة بن زيد[1] ، حِبّ رسول الله ﷺ وابن حِبّه .

لقد قضى الاسلام ـ مع ما قضى عليه من تقاليد

---

(١) انظر سيرته المفصلة في كتابنا : قادة فتح الشام ومصر (٣٣ ـ ٥١) .

الجاهليّة ، على الأنفة من تأمير مَنْ لم تُقدِّمه السِنّ ، والاستمساك بعُرى التّفاضل بالانساب والاحساب والعشائر والقبائل . . . . إنّ التفاضل في الاسلام يخضع للتقوى وصالح الأعمال بالاضافة إلى الكفايات المناسبة للعمل المناسب.

وقد رفعت مزايا زيد القياديّة وإيمانه الرّاسخ العميق إلى الامارة .

لقد كان لزيد قابلية فذّة لاعطاء قرار سريع صحيح في الوقت والمكان المناسبين ، وكانت كلّ سراياه بحاجة ماسة إلى إصدار قرارات سريعة وصحيحة ، وحين وجد العدو في سريّة مُؤْتَة قد حشد له ما لا قِبَلَ للمسلمين به ، عزم أن يتريث في قبول المعركة غير المتكافئة ويستشير النبيّ ﷺ في الموقف الجديد ، ولكنّ المتحمِّسين من المجاهدين الذين خرجوا للجهاد طلباً للشهادة وعلى رأسهم عبد اللّه بن روَاحة ، أرادوا لقاء العدو مهما تكن نتائج هذا اللقاء ، فانصاع زيد لنداء العاطفة ، ويبدو أنّ الأحداث تطوّرت بسرعة عظيمة فاضطّرت المسلمين إلى قبول المعركة ، ثم كانت سرية مُؤْتة إخفاقاً تعبوياً ولكنّها

كـانت نصراً سَـوْقياً ، جعلت الـرّوم جيران المسلمين في الشمـال ، يلمسون عمليـاً بأن العـرب بالاسـلام اصبحوا خلقاً جديداً ، فأصبحت حربهم ليست حربـاً عابـرة ، بل حرب لها ما بعدها كأية حرب نـظاميّة تتميّـز بارادة القتـال وبالنظام والتنظيم والاستمراريّة .

وكان زيد ذا إرادة قـوّية ثـابتة ، استـطاع أن يتغلّب بها بسهولـة ويسرٍ على كثيـر من المصاعب والعقبـات في سـراياه ، التي كـان أكثرهـا يتسم بالمغـامـرة والمشـاق ، فنجـح بفضـل إرادتــه على مـا صــادفـه من معضــلات ومشاق .

وكـان من أولئك القـادة الذين يتحملون المسؤوليـة ويتقبلونها قبولاً حسنـاً ، ولا يتملّصون منهـا بالقـائها على عواتق الآخرين .

وكـان ذا نفسيّة ثـابتة لا تتبـدل : لا يطربهـا النصـر فيؤدي بهـا إلى مـزالق الشّــطط ، ولا يقلقهـا الانـدحار فيحملهـا إلى مهاوي الانهيـار ، والشّطط والانهيـار تلحق الكوارث بالقائد ورجاله .

وما دام المرء لا يعمل لنفسه ، بل يعمل للمصلحة العامة ، وتكون نيته خالصة لوجه الله ، فإنّ نفسيته تكون ثابتة لا تتغيّر .

وكان عارفاً بنفسيات رجاله وقابلياتهم ، لأنّه نشأ بينهم وعمل معهم ، وعايشهم طويلاً في حالتي الحرب والسّلام ، إلى جانب النبيّ ﷺ وأصحابه المقرّبين وآل بيته الطّاهرين ، فكان يكلف كلّ فرد منهم بما يناسب نفسيّته وقابليته .

وكان يثق برجاله ثقة مطلقة ، ويثق به رجاله ثقة مطلقة ، والثقة هي الأساس القوي للتعاون بين القائد وجنوده ولا تعاون بدون ثقة متبادلة .

وكان يحب رجاله حبّ الأخ لأخيه ، ويحبّه رجاله حبّاً لا مزيد عليه ، والحبّ المتبادل هو العامل الحيوي لارساء أسس التعاون الوثيق الذي يقود إلى النصر .

وكان يتمتّع بشخصية قويّة نافذة ، جعلت النبيّ ﷺ يوليه السرايا التي فيها أمثال أبي بكر الصدّيق وعمر بن الخطّاب وسعد بن أبي وقّاص وأبي عبيدة بن الجرّاح

رضي الله عنهم ، ويوليه إمرة المدينة المنّورة في بعض غزواته ، مما يدّل على شخصيته القويّة النّافذة .

وكانت له قابلية بدنيّة فائقة ، ساعدته على قطع المسافات الشاسعة بسرعة ، وتحمل اعباء السّفر والقتال ، دون كلل ولا ملل ولا تعب ولا إنهاك .

وكان له ماضٍ ناصع مجيد في خدمة الاسلام والمسلمين ، وخدمة النبيّ ﷺ .

وكان يساوي بينه وبين رجاله ، لا يستأثر دونهم بالخير ، ويترك لهم المتاعب ، بل يؤثرهم بالأمن والدّعة والاطمئنان ، ويستأثر دونهم بالأخطار والمصاعب والمشاق .

وكان يستشير أصحابه ، وبخاصة ذوي الرأي منهم ، ويأخذ بآرائهم ويضعها في حيِّز التطبيق العملي .

واستناداً إلى مبادىء الحرب ، فقد كان زيد يختار مقصده ويديمه ، ويفكر في أقوم وسيلة للوصول إليه ، ثم يقرِّر الخطّة المناسبة للحصول عليه .

وكانت سرايا زيد كلها تعرضيّة ، تشيع فيها روح

المباغتة ، وكانت جميع سراياه عدا سريّة مُؤْتَة مباغتة كاملة لأعداء المسلمين ، لذلك استطاع الانتصارعليهم بالرغم من قلّة قوّاته بالنسبة إلى كثرة قوّاتهم ، وبالرغم من وجودهم في بلادهم بينما كانت خطوط مواصلات زيد بعيدة عن المدينة قاعدة عمليات المسلمين الرئيسة .

كما أنّ زيداً كان يحشد قوّاته قبل الاقدام على خوض المعركة ، وكان يديم معنويات لكل القوات ، ويمكن اعتبار سراياه في هدفها الرئيسي سرايا معنويات بالدرجة الأولى كما ذكرنا من قبل .

وكان يطبّق مبدأ الأمن ، فلم يستطع العدو مباغتة سرايا زيد في أيّة معركة خاضها ، وحتى سرية مُؤْتَة لم يُبَاغَت بتفوق القوات المعادية على قوّات المسلمين عَدَداً وعُدَداً ، ولكنّه اختار لنفسه الشّهادة ، فكان له ما أراد .

وكانت سرايا زيد تتحلّى بالطّاعة المطلقة ، وهي ما نسميه اليوم : الضبط المتين ، كما امتازت سراياه بالشّجاعة والاقدام والجلد والصبر والمصابرة وتحمّل المشاق ، وهي الصِّفات المعنوية الباقية على الزمان لكل

جيش متماسك في كل زمان ومكان .

وكـان زيد يتحلّى بنفس مـزايا جيشـه المعنـويّـة ، وكـان مثالاً شخصياً رائعاً لسـراياه في كـلّ تلك المـزايـا والصفات .

لقد كان زيد قائداً متميِّزاً حقّاً .

زيد في التاريخ

يذكر التاريخ لزيد ، أنّه أصابه سِباء في الجاهلية ، فطوّحت به الأقدار بعيداً عن أهله ليصبح في كنف النبيّ ﷺ قبل مبعثه .

وأنّ أباه وعّمه وإخوته أردوا فـداءه ، فاختـار النبيّ ﷺ على أبيـه وعمّه وإخـوته ، فـارتبط مصيره بـالاسـلام والمسلمين .

وأنّـه كـان أوّل مَنْ أسلم ، أو من أوّل مَنْ أسلم ، فكان أوّل مَنْ أسلم من الموالي بدون خلاف .

وأنّه رافق النبيّ ﷺ إلى مدينـة الطّائف لـدعوة بني ثقيف إلى الاسـلام ، فشهد أقسى مـا لاقـاه النبيّ ﷺ

من ثقيف في رحلته الصّعبة الشاقة

وأنّه هاجر إلى المدينة المنّورة ، وحمل معه بعضاً من بنات النبيّ ﷺ وزوجاته .

وأنّه شهد بدراً وأُحُداً والخندق وغيرها من غزوات النبيّ ﷺ ، وأبلى فيها أعظم البلاء .

وأنّه تولى قيادة تسع سرايا من النبيّ ﷺ ، فكان أكثر قادة النبيّ ﷺ في قيادة سراياه .

وأنّه الوحيد الذي ذكر بالاسم من بين صحابة النبيّ ﷺ وأصحاب النبيين والمرسلين في القرآن الكريم .

وأنّه كان حِبّ رسول الله ﷺ وأبا حِبّه أُسامة بن زيد الكلبي .

وأنّه توّج حياته الحافلة بالجهاد المتواصل بالشّهادة ، فضحى بنفسه فداءً لعقيدته ، ولم يُضَحّ بعقيدته فداءً لنفسه .

رضي الله عن الصحابي الجليل ، القائد الشهيد ، الاداري الحازم ، حِبّ رسول الله ﷺ ، زيد بن حارثة الكلبّي .

جعفر بن أبي طالب القرشي الهاشمي

أوّل سفير في الإسلام والقائد الشهيد

نسبه وأيامه الأولى

هو جعفر بن ابي طالب ، واسم أبي طالب : عبد مَنَاف ، بن عبد المُطَّلِب بن هاشِم بن عبد مَنَاف بن قُصَيّ القُرَشِيّ الهاشِميّ ، وهو ابن عَمّ رسول الله ﷺ ، وأخو عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه لأبويه[1] ، يكنى : أبا عبد اللّه بابنه عبد اللّه[2] .

أُمه : فاطمة بنت أسد بن هاشِم بن عبد مَنَاف بن

---

(١) أسد الغابة(١ / ٢٨٦ ـ ٢٨٧) والاصابة (١ / ٢٤٨) والاستيعاب (١ / ٢٤٢) ، وانظر نسب قريش (١٧) وجمهرة أنساب العرب (١٤ ـ ١٥) .

(٢) الاستيعاب (١ / ٢٤٢) والاصابة (١ /٢٤٨) وطبقات ابن سعد (٤ / ٣٤) .

قُصي[١]، وكـان جعفر الثـالث من أولاد أبيه أبي طـالب، وكـان طالِب أكبـرهم سِنّـاً ، ويليـه عَقِيـل ، ويلي عَقيـلاً جعفـر ، ويلي جعفراً عَلِي ، وكـلّ واحـد منهم أكبـر من شقيقـه بعشـر سنين ، وعَلِيّ أصغـرهم سِنّـاً ، وأمـهم جميعـاً : فاطمـة بنت أسـد بن هـاشم بن عبـد مَنَاف بن قُصَيّ[٢] ، وفاطمة أمهم أوّل هاشمية تـزوجّها هـاشِميّ ، وقـد أسلمت وهاجـرت إلى المـدينـة ، وتُـوفِّيت في زمن النبيّ ﷺ ، ونزل عليه الصَّلاة والسَّلام في قبرها ، وكـان يكرمها[٣] .

أسلم جعفر قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم ابن أبي الأرقم يدعو إلى الاسلام فيها[٤] ، وقد أسلم بعد إسلام شقيقه عليّ بـن أبي طالب رضي الله عنه بقليـل ، وروي أنّ أبـا طـالب رأى النبيّ ﷺ وعَلِيّـاً رضي الله عنـه يُصَلِّيان ، وعليّ على يمينه ، فقال لجعفر : « صلْ جناح

(١) طبقات ابن سعد (٤ /٣٤) ومقاتل الطالبيين (٥) .
(٢) مقاتل الطالبيين (٥) ، وانظر أسد الغابة (١ / ٢٨٧) .
(٥) تهذيب الأسماء واللغات (١ / ١٤٩) .
(١) طبقات ابن سعد (٤ / ٣٤) .

ابن عمِّك ، وصَلِّ على يَساره » ، وقيل : أسلم بعد واحد وثلاثين إنساناً ، وكان هو الثاني والثلاثين[1] .

لقد كان جعفر من السّابقين الأولين إلى الاسلام[2] .

المهاجر السّفير

١ ـ لما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء ، وما هو فيه من العافية ، وأنّه لا يقدر على أن يمنعهم ممّا هم فيه من البلاء، قال لهم: « لو خرجتم إلى أرض الحبشة ، فإنّ بها ملكاً لا يُظْلَم عنده أحد ، وهي أرض صِدْقٍ ، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه »[3] ، وكان بالحبشة مَلِك صالح يقال له النّجاشِي ، لا يُظْلَم أحد بأرضه ، وكان يُثْنَى عليه وفيه صلاح[4] ،

---

(١) أسد الغابة (١ / ٢٨٧) ، وانظر التفاصيل في سيرة ابن هشام (١/٢٦٥ ـ ٢٧١) وجوامع السيرة (٤٤ ـ ٤٨) والدرر (٣٩ ـ ٤١) .

(٢) الإصابة (١ / ٢٤٨) .

(٣) سيرة ابن هشام (١ / ٣٤٣) ، وانظر جوامع السيرة (٥٥) والدرر (٥٠) .

(٤) الطبري (٢ / ٣٢٨) .

فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة[1] ، وكان ذلك في السنة الخامسة من النبّوة[2] ، أي في السنة الثامنة قبل الهجرة ، مخافة الفتنة ، وفراراً إلى الله بدينهم ، فكانت هذه الهجرة أوّل هجرة في الاسلام[3] ، وهي الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة[4] .

وكما كان جعفر أحد السّابقين الأولين إلى الاسلام[5] ، كان أحد المهاجرين الأولين إلى الحبشةِ[6] ، فقد هاجر إليها ومعه امرأته أسماء بنت عُمَيْس بن النُّعْمَان بن كَعْب بن مالِك بن قُحَافَة بن خَثْعَم الخَثْعمِيّة[7] ، فولدت له هناك : عبد الله ، وعَوْناً ، ومحمّداً[8] .

(١) سيرة ابن هشام (١ / ٣٤٣) .
(٢) الطبري (٢ / ٣٢٩) .
(٣) سيرة ابن هشام (١/ ٣٤٣) .
(٤) سيرة ابن هشام (١ / ٣٤٣) .
(٥) الاصابة (١ / ٢٤٨) .
(٦) أسد الغابة (١ / ٢٨٧) والاصابة (١ / ٢٤٨) والاستيعاب (١ / ٢٤٢) .
(٧) سيرة ابن هشام (١ / ٣٤٥) .
(٨) جوامع السيرة (٥٧) والدرر (٥١) .

وبعث النبيّ ﷺ كتاباً إلى النجاشيّ مع جعفر هذا نصّه :

« بسم الله الرحمن الرحيم »

من : محمّد رسول الله .

إلى : النّجاشي الأصحم[1] ملك الحبشة .

سِلْمٌ أنت ، فأني أحمد إليك الله الذي لا إله إلّا هو ، الملك ، القُدّوس ، السّلام ، المؤمن ، المُهَيْمِن ، وأشهد أنّ عيسى بن مريم روح الله وكلمتُه ، ألقاها إلى مريمَ البتُول الطيّبة ، فحملت بعيسى ، فخلقه الله من روحه ونَفْخِهِ ، كما خلق آدمَ بيده ونَفْخِهِ . .

وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له ، والموالاة له على طاعته ، وأنّ تتبعني وتؤمن بالذي جاءني ، فإني رسول الله .

وقد بعثتُ إليك ابن عمي جعفراً ، ونفراً معه من

---

(١) اسم النجاشي : أصحمة وليس الاصحم ، انظر البداية والنهاية (٣ / ٧٧) .

المسلمين ، فإذا جاءك ، فأقْرِهم ، ودَعْ التّجبّر ، فإني أدعوك وجنودك إلى الله ، فقد بلّغتُ ونصحتُ فاقبلوا نُصحي .

والسّلام على من اتّبَعَ الهدىَ »[1] .

وقد أعطى النّبيّ ﷺ ابن عمّه جعفراً هذا الكتاب إلى النّجاشي وقت هجرة جعفر إلى الحبشة ، طالباً من النّجاشي العادل الاعتناء بحال الّلاجئين الغرباء في بلاده[2] من المسلمين ، وهم المهاجرون الأولون من المسلمين إلى أرض الحبشة ، كما دعاه النبيّ ﷺ إلى الاسلام .

وذكر العبارة : « . . . وقد بعثت إليك ابنَ عمي جعفراً ونفراً معه من المسلمين ، فإذا جاءك ، فأقْرِهِمْ . . . » ، لا يمكن أن تتعلّق بالكتاب المرسَل في السنة السّادسة الهجريّة مع عمرو بن أُميّة الضَّمْرِيّ ،

---

(١) الطبري (٢ / ٦٥٢) وصبح الأعشى (٦ / ٣٧٩) ، وانظر تفاصيل المراجع والمصادر في : مجموعة الوثائق السياسية (٤٣ ـ ٤٤) في الوثيقة رقم (٢١) .

(٢) مجموعة الوثائق السياسية (٣) .

حيث كان قد مضى خمس عشرة سنة على هجرة جعفر إلى الحبشة ، وكان على وشك الرّجوع إلى دار الاسلام .

والمصادر التي لم تذكر هذه العبارة في متن الكتاب النبوي متأخرة عن الطبري الذي ذكرها ، فليس ذكرها سهو من الطبري ، بل عدم ذكرها سهو من المتأخرين .

٢ ـ ولما رأت قريش أنّ أصحاب رسول الله ﷺ قد أمِنوا وأطمأنّوا بأرض الحبشة ، وأنّهم قد أصابوا بها داراً وقراراً ، ائتمروا أن يبعثوا فيهم منهم رجلين من قريش جليدين إلى النّجاشي فيردّهم عليهم ، ليفتنوهم في دينهم ، ويخرجوهم من دارهم التي اطمأنوا بها وأمنوا فيها ، فبعثوا عبد اللّه بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص بن وائل ، وجمعوا لهما الهدايا للنجاشي وبطارقته [1] ، ثمّ بعثوها إليه فيهم ، وأمروهما أن يدفعا إلى كلّ بطريق هدّيته قبل أن يُكَلِّما النجاشي في المسلمين المهاجرين إلى أرض الحبشة .

---

(١) البطارقة : فسره أبو ذر بالوزراء .

وخرجا حتى قدما على النجاشي ، فلم يبق من بطارقته بطريق إلاّ دفعا إليه هديته قبل أن يُكلِّما النجاشي وقالا لكلِّ بطريق منهم : « إنّه قد ضَوَى[1] إلى بلد الملك منا غِلْمَانٌ سُفَهاء ، فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا في دينكم ،وجاؤوا بدين مُبْتَدَع لا نعرفه نحن ولا أنتم ، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم ليردّهم إليهم ، فإذا كلمنا الملكَ فيهم فأشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا ، ولا يُكَلِّمهم ، فإنّ قومهم أعلى بهم عيناً وأعلم بما عابوا عليهم » ، فقالوا لهما : « نعم »[2] .

وكان أمير المؤمنين على المهاجرين إلى الحبشة جعفر بن أبي طالب .

وقدّم عمرو بن العاص وصاحبه هداياهما إلى النجاشي ، فقبلها منهما ، فكلّماه في المسلمين الذين هاجروا إلى بلاده ليردّهم إلى قريش ، فأرسل النجاشي إلى أصحاب رسول الله ﷺ فلما جاؤوا ، وقد دعا

---

(١) ضوى : أوى ولجأ ولصق .

(٢) سيرة ابن هشام (١ / ٣٥٦ ـ ٣٥٨) .

(٣) طبقات ابن سعد (٤ / ٣٤) .

النجاشي أساقفته[1] ، فنشروا مصاحفهم حولـه ، نسألهم وقال لهم : « ما هذا الدِّين الذي فارقتم فيه قومكم ، ولم تدخلوا ديني ولا دين أحد من هذه الملل ؟ فأجابه جعفر عن المسلمين المهاجرين فقال له : « أيها الملك ! كنا أهل جاهليّة ، نعبد الاصنام ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحشَ ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القويّ منّا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث اللّهُ إلينا رسولاً منّا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحِّده ، ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصِدْق الحديث وأداء الأمانة ، وصِلة الرَّحِم ، وحسن الجوار ، والكفّ عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقَذْفِ المُحصنَةِ ، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نُشرك به شيئاً ، وأمرنا بالصّلاة والزّكاة والصيام ـ وعَدَّد عليه أمور الإسلام ـ فصدّقناه وآمنّا به واتّبَعْنَاه على ما جاء به من الله ، فعبدنا الله وحده فلم نُشرك به شيئاً ، وحرّمنا ما حرّم علينا ، وأحللنا ما أحلّ لنا ، فعدا علينا

(١) الأساقفة : جمع أسقف ، وهو العالم في النصرانية .

قومنا ، فعذّبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله ، وأن نستحلّ ما كنّا نستحلّ من الخبائث ، فلما قَهرونا وظلمونا وضيّقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا إلى بلادك ، واخترناك على مَنْ سواك ، ورغبنا في جوارك ، ورجونا ألّا نُظلَم عندك أيها الملك » ، فقال له النجاشي : « هل معك مما جاء به عن الله من شيءٍ ؟ » ، فقرأ عليه صدراً من (كهيعص)[1] ، فبكى النجاشي حتى اخْضَلّت[2] لحيته ، وبكت أساقفته حتى أخْضَلوا مصاحِفهم حين سمعوا ما تلا عليهم[3] .

ثم قال النجاشي : « إنّ هذا والذي جاء به عيسى ليخْرُج من مشكاة[4] واحدة ، فلا والله لا أسلمهم

---

(١) هي سورة مريم ـ مكية إلا آيتي ٥٨ و ٧١ فمدنيتان ، وآياتها ٩٨ ، نزلت بعد سورة فاطر ـ ١٩ .

(٢) اخضلت : ابتلت . وفي بعض النسخ : (أخضل لحيته) ، كما هو كذلك في النهاية لابن الأثير ، فأخضل على هذا مثل أكرم ، ومعناه بلها ، ولحيته على هذا مفعول ، مثل قوله : أخضلوا مصاحفهم . تقول : أخضل المطر الأرض : إذا بلها .

(٣) سيرة ابن هشام (١ / ٣٥٨ ـ ٣٥٩) .

(٤) المشكاة : الثقب الذي يوضع فيه الفتيل والمصباح ، وهي الكوة غير النافذة

إليكما ، ولا يُكادون » .

ولما خرجا من عنده ، قال عمرو بن العاص : «والله لآتينه غداً عنهم ، أستأصل به خضراءهم[1] » ، فقال عبد اللّه بن أبي ربيعة ، وكان أتقى الرَّجلين : « لا تفعل ، فإنّ لهم أرحاماً ، وإنْ كانوا قد خالفونا » ، فقال : « والله لأخبرنّه أنّهم يزعمون أنّ عيسى بن مريم عبد » .

وغدا على النجاشي من الغد ، فقال : «أيّها الملك ! إنّهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً ، فأرسِلْ إليهم فَسَلْهُم عَمّا يقولون فيه » .

وأرسَل النجاشي إلى المسلمين المهاجرين ليسألهم عن عيسى ، فلما دخلوا عليه قال لهم : « ماذا تقولون في عيسى بن مريم ؟ » ، فقال جعفر : « نقول فيه الذي جاءنا به نبينا ﷺ : هو عبد اللّه ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول » ، فضرب النجاشي بيده إلى الأرض فأخذ منها عوداً ، ثم قال : « والله ما عدا

---

(١) استاصل به خضراءهم : يعني جماعتهم ومعظمهم .

عيسى بن مريم ما قلت هذا[1] العودَ . اذهبوا فأنتم الآمنون ، مَنْ سَبّكم غرم ، ما أحبّ أنّ لي جبلاً من ذهب وأني آذيت رجلاً منكم . . . ردّوا عليهما هداياهما فلا حاجة لي بها » فخرجا - عمرو بن العاص وصاحبه - من عنده مقبوحين مردوداً عليهما ما جاءا به ، وأقام المسلمون في أرض الحبشة عند النجاشي في خير دار مع خير جار[2] .

وهكذا أدّى جعفر واجبه في الدفاع عن المسلمين المهاجرين إلى أرض الحبشة وفي شرح تعاليم الاسلام للنجاشي ورجاله ، فنجح في إخفاق عمرو بن العاص وصاحبه في مهمته إلى أرض الحبشة ، فعادا أدراجهما خائبين .

٣ - ولما هاجر النبي ﷺ من مكّة المكّرمة إلى المدينة المنّورة ، وأذن للمسلمين بالهجرة إليها ، وبدأ

---

(١) قال أبو ذر : ما جاوز مقدار هذا العود أو قدر هذا العود .

(٢) سيرة ابن هشام (١ / ٣٦٠ - ٣٦١) وحلية الأولياء (١ / ١١٤ - ١١٦) وانظر عيون الأثر (١ / ١١٨ - ١١٩) .

بـوضع أسس المجتمـع الاسلامي بـالمؤاخاة ، آخى بين جعفر ومُعَاذ بن جَبَل من بني سَلِمَةَ الأنصار ، وكان جعفـر غائباً بالحبشة[1] .

وأكثر الذين أرّخوا لجعفر لم يذكروا هـذه المؤاخاة بينه وبين مُعَاذ بـن جَبل ، فقد كانت المؤاخاة بعـد قدوم رسول الله ﷺ المدينة وقبل غزوة بدر الكبرى ، فلما كان يـوم بدر نـزلت آية الميـراث وانقطعت المؤاخـاة وجعفـر غائب يومئذٍ بأرض الحبشة[2] .

وأرسل النبيّ ﷺ عمرو بن أُمَيّة الضَّمْرِي سفيراً إلى النجـاشي[3] يدعـوه إلى الاسـلام سنـة ست الهجـريـة ، وكتب إلى النجاشي ، فأسلم النجاشي ، وأمره أن يزوِّجه أمّ حَبِيْبـة بنت أبي سُفْيان بن حَرْب ويرسلهـا ويرسـل مَنْ عنده من المسلمين[4] .

---

(١) سيـرة ابن هشام (٢ / ١٢٤) والـدرر (٩٩) وجوامـع السيرة (٩٦) والاصابة (١ / ٢٤٨) .
(٢) طبقات ابن سعد (٤ / ٣٥) .
(٣) سيرة ابن هشام (٤ / ٢٧٩) وجوامع السيرة (٢٩) .
(٤) أسد الغابة (٤ / ٨٦) .

فقـد آمن النجاشي بـالنبيّ ﷺ واتّبعه ،وأسلم على يـد جعفر بن أبي طـالب ، وأرسل إليـه ابنه في ستين من الحبشة ، فغرقـوا في البحر[1] ، وبعث النجـاشي بكسوة إلى رسول الله ﷺ[2] .

وأرسل النّجاشي إلى النّواتّي[3] فقال : « انظروا ما يحتـاج فيـه هؤلاء القـوم من السُّفن ؟ » ، فقـالـوا : « يحتاجون إلى سفينتين ، فجهزّهم » .

وكلّم قـوم النّجاشيّ من الحبشـة أسلمـوا ، في أن يبعث بهم إلى رسـول الله ﷺ يُسَلِّمـوا عليـه ، وقـالـوا : نصـاحب هؤلاء ، فنجـذف بهم في البحـر ، ونعينُهم ، فـأذن لهم ، فشخصوا مـع عمـرو بن أُمَيّـة ، وأمّـر عليهم جعفر بن أبي طالب[4] .

ويبـدو أنّ النبيّ ﷺ ، أرسـل عمـرو بن أُميّـة إلى

---

(١) ابن الأثير (٢ / ١١٣) .
(٢) المحبر (٧٦) .
(٣) النـواتي : مفردهـا نـوتي ، وهـو المـلاح الـذي يـديـر السفينـة في البحر .
(٤) أنساب الأشراف (١ / ٢٢٩) .

النّجاشي في أواخر سنة ست الهجريّة ، فعاد من سفارته في أوائل سنة سبع الهجريّة ، لأنّ مهاجري الحبشة وعلى رأسهم جعفر ، عادوا من أرض الحبشة إلى المدينة المنورة ، في أعقاب غزوة خَيْبَر التي كانت في شهر محرّم من سنة سبع الهجريّة[1] .

وقدم جعفر في جماعة من المسلمين من أرض الحبشة بأثر فتح خَيْبَر[2] ، فالتزمه رسول الله ﷺ وقَبّلَ ما بين عينيه واعتنقه[3] ، وقال : « والله ما أدري بأيهما أنا أسَرّ ! أبقدوم جعفرْ ، أم بفتح خيبر »[4] ، أو قال : « والله ما أدري ، أبقدوم جعفر أنا أُسَرّ وأفرح ، أم بفتح خيبر »[5] وأنزله رسول الله ﷺ إلى جنب المسجد[6] ،

---

(١) جوامع السيرة (٢١١) والدرر (٢١٧) .
(٢) الدرر (٢١٨) .
(٣) طبقات ابن سعد (٤ / ٣٥) .
(٤) سيرة ابن هشام (٣ / ٤١٤) .
(٥) الدرر (٢١٨) ، وفي طبقات ابن سعد (٤ / ٣٥) ما أدري بأيهما أنا أفرح ، بقدوم جعفر أم بفتح خيبر .
(٦) أسد الغابة (١ / ٢٨٧) .

وقسم لـه من غنـائم خيبـر[1] ، واختطّ لـه إلى جنب المسجد[2] .

وهكـذا كـانت لجعفـر هجرتـان : هجـرة إلى الحبشة ، وهجرة إلى المدينة[3] وقـد استقرّ في المـدينة المنّورة قاعدة المسلمين الرئيسة ، بعد أن طال غيابـه عن وطنه ردحاً طويلاً من الزّمن ، استمر أكثر من أربع عشـرة سنة في بلاد الحبشة ، من السنة الثامنة قبـل الهجرة إلى أوائـل السنة السّـابعة الهجـرية ، كـان خلالهـا المسؤول الأول عن المسلمين المهـاجـرين إلى أرض الحبشـة ، فأسلم على يديه النجاشي وغيره من الحبشة ، كمـا أسلم غيـر النجاشي وغيـر الذين أسلمـوا على يـدي جعفـر من الأحباش على أيدي غيره من المسلمين المهاجرين .

ولا مجال للشكّ في إسـلام النّجاشي ، ولا مجـال للتشكيك في إسلامـه ، ولا يقبل الشـك في إسلامـه ولا التشكيـك فيه مسلم حقّ ، لأنّ إسـلام النّجاشي ثـابت ،

---

(١) طبقات ابن سعد (٤ / ٣٥) .
(٢) الاستيعاب (١ / ٢٤٢) .
(٣) أسد الغابة (١ / ٢٨٧) .

فقد صلىّ عليه النبي ﷺ صلاة الغائب حين بلغه موتـه ، كمـا ثبت ذلـك في صحيـح البخـاري[1] ، ومسلم[2] والنسـائي[3] وفي جميع مصادر الحديث الشريف والفقه الاسـلامي[4] ، ولا تُصلّى صـلاة الغـائب إلاّ عـلى المسلمين حسب ، وكـان اسم النّجـاشي الـذي أسلم وصلّى عليه النبيّ ﷺ صلاة الغائب : أَصْحَمَة[5] .

في سَرِيّة مُؤْتَة[6]

بعث النبيّ ﷺ سـرية مُؤْتَـة في جمادى الأولى من سنـة ثمانٍ الهجـرية ، وكـان سبب بعث هذه السـريّـة أنّ النبيّ ﷺ بعث الحـارث بن عُمَيْـر الأَزْدِيّ أحـد بني لِهْبٍ

---

(1) فتح الباري بشرح البخاري (٣ / ٩٢) و (٣ / ١٦٤) في بـاب الرجل ينعي إلى أهـل الميت بنفسه ، وبـاب التكبير على الجنـازة أربعاً .

(2) صحيح مسلم (٣ / ٥٤) في باب الجنازة

(3) النسـائي (٢ / ٣٣٧) في باب التكبير على الجنازة.

(4) انظر التفاصيل في بحث : إسلام النجاشي ، في هذا الكتاب .

(5) المحبر (٧٦) والبداية والنهاية (٣ / ٧٧) .

(6) مؤتـة : قريـة من قرى البلقـاء (الأردن) في حدود الشـام ، أنـظر التفـاصيل في معجم البلدان . (٨ / ١٩٠) ، وهي بـأدنى البلقاء دون دمشق ، انظر طبقات ابن سعد (٢ / ١٢٥)

إلى ملك بُصْرَى[1] بكتاب يدعوه فيه إلى الاسلام ، فلما نزل مُؤْتَة عرض له شُرَحْبِيل بن عمرو الغَسّانى فقتله ، ولم يُقْتَل لرسول الله ﷺ ، رسولٌ غيره ، فاشتد ذلك عليه ، وندب النّاس ، فأسرعوا ، وعسكروا خارج المدينة المنّورة بالجُرْف[2] ، وهم ثلاثة آلاف ، فقال رسول الله ﷺ : «أمير الناس زيد بن حارثة، فإن قُتِل فجعفر بن أبي طالب، فإن قُتِل فعبدُ الله بن رَوَاحة، فإن قُتِل فَلْيَرْتَضِ المسلمون بينهم رجلاً، فيجعلوه عليهم».

وعقد رسول الله ﷺ ، لواءً أبيض دفعه إلى زيد بن حارثة ، وأوصاهم رسول الله ﷺ أن يأتوا مقتل الحارث ابن عُمَيْر ، وأن يدعوا مَنْ هناك إلى الاسلام ، فإن أجابوا وإلّا استعانوا عليهم الله وقاتلوهم . وخرج عليه الصلاة والسلام مشَيِّعاً لهم حتى بلغ (ثَنِيّة الوَداع)[3] ، فوقف

---

(١) بصرى : مدينة من أعمال دمشق ، وهي قصبة حوران ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢ / ٢٠٨) .

(٢) الجرف : موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام ، انظر معجم البلدان (٣ /٨٧) .

(٢) ثنية الوداع : ثنية مشرفة على المدينة ، سميت لتوديع المسافرين منها ، انظر معجم البلدان (٣ / ٢٥) .

ووَدّعهم ، فلما ساروا من معسكرهم نادى المسلمون : دفع الله عنكم ، وردّكم صالحين غانمين !

فقال عبد اللّه بن رواحة :

لكنني أسأل الرحمن مغفرةً

وضربة ذات فرعٍ تقذف الزَّبدا[1]

ولما فصل المسلمون من المدينة ، سمع العدو بمسيرهم ، فجمعوا لهم ، وقام فيهم شُرَحْبِيلْ بن عمرو ، فجمع أكثر من مائة ألف ، وقدّم الطّلائع أمامه .

ونزل المسلمون (مُعَان)[2] من أرضِ الشّام ، وبلغ الناس أنّ هِرقْل قد نزل (مآب)[3] من أرض البَلْقَاء في مائة ألف من بَهْراء ووائِل ولَخْم وجُذَام .

واقام المسلمون في مُعَان ليلتين لينظروا في أمرهم ، وقالوا : نكتب إلى رسول الله ﷺ ، فنخبره

---

(1) ذات فرع : أي ذات سعة .

(2) معان : مدينة بطرف بادية الشام تلقاء الحجاز ، انظر معجم البلدان (٨/ ٩٣) .

(3) مآب : مدينة في طرف الشام بنواحي البلقاء ، انظر معجم البلدان (٧ / ٢٤٩) .

الخبـر . . . . ولكنّ عبد الله بن رَوَاحـة شجّـع المسلمين على المُضيِ قُدُماً إلى هـدفهم تنفيذاً لأوامـر النبيّ ﷺ ، فمضوا إلى مُؤْتَة .

ولمـا وصـل المسلمــون إلى (مُؤْتَـة) ، وافــاهم المشركون هناك ، فجاءهم ما لا قِبَل لأحـدٍ به من العَـدَدَ والسّلاح والكُراع والـديباج والحـريـر والـذّهب ، فـالتقى المسلمـون بـالمشـركين ، وقـاتــل الأمـراء يــومئـذٍ على أرجُلهم .

وأخـذ اللّواء زيـد بن حـارثـة ، فقـاتـل ، وقــاتـل المسلمون معه على صفـوفهم ، حتى قُتل طعنـاً بالـرِّماح رحمه الله .

وأخـذ اللّواء ، جعفر بن أبي طـالب ، فترجّـل عن فرس له شقراء ، فعرقبها[1] ، فكانت أوّل فـرسٍ عُرْقِبَت في الاسلام ، وقاتل حتى استُشهدَ رضي الله عنه ، ضربه رجل من الروم ، فقطعه بنصفين ، فوجد في أحـد نصفيه بضعة وثلاثون جرحاً ، ووجد فيما أقبل من بَدَن جعفر مـا

(١) عرقبها : قطع عرقوبها ، وعرقوب الدابة في رجلها .

بين منكبيه تسعون ضربة بين طعنة برمحٍ وضربة بسيف ، وفي رواية أخرى اثنتان وسبعون ضربة بسيف وطعنة برمح[1] .

وأخذ اللواء عبد الله بن رَوَاحة ، فقاتل حتى قتل رضي الله عنه ، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد ، فسحب قوّات المسلمين من ساحة المعركة وحمى بالسّاقة انسحابهم ، وعاد بهم إلى المدينة[2] .

وهكذا مضى جعفر إلى ربِّه شهيداً ، مقبلاً غير مدبر ، يقاتل الرّوم وحلفاءهم من الغساسنة وهو يقول :

يا حَبَّذاَ الجَنَّةُ واقْترابُها
طَيِّبةً وبارداً شَرَابُها
والرُّوم رُوْمٌ قد دَنا عَذابُها
كافرةٌ بَعيدَةٌ أنْسَابُها
عَلَيَّ إذْ لاقَيْتُها ضِرابُها

---

(١) انظر التفاصيل في طبقات ابن سعد (٤ / ٣٨ - ٣٩) .

(٢) طبقات ابن سعد (٢/١٢٨ - ١٣٠) وانظر مغازي الواقدي (٢ / ٧٥٥ - ٧٦٩) وسيرة ابن هشام (٣ / ٤٢٧ - ٤٤٧) وجوامع السيرة (٢٢٠ - ٢٢٣) والدرر (٢٢٢ - ٢٢٣) وابن الأثير (٢/٢٣٤ - ٢٣٨) وعيون الأثر (٢ / ١٥٣ - ١٥٦) .

فأخذ جعفر اللِّواء بيمينه فَقُطِعَت ، فأخذه بشماله فقطعت ، فاحْتَضَنَهُ[1] بِعَضُدَيه حتى قُتل[2] ، فسقط مضرجاً بدمائه دون أن يسقط اللِّواء رفعه أحد المسلمين عالياً وتلك شجاعة فذّة ، وبطولة نادرة ، وإقدام لا يتكرّر إلّا قليلاً .

الإنسان

كانت سِنّ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يوم أسلم إحدى عشرة سنة على أصحّ ما ورد من الأخبار في إسلامه ، وقيل : ثلاث عشرة ، وقيل : سبع سنين ، والثابت إحدى عشرة سنة ، لأنّ رسول الله ﷺ بُعث وهذه سُنُوُّه ، فأقام معه بمكة ثلاث عشرة سنة[3] ، أي أنّ عليًّا كان في الرّابعة والعشرين من عمره حين هاجر النبيّ ﷺ من مكّة المكّرمة إلى المدينة المنوّرة .

وكان جعفر أكبر من عليّ بن أبي طالب بعشر

(١) احتضنه : أخذه في حضنه ، وحضن الرجل : ما تحت العضد إلى أسفل .

(٢) سيرة ابن هشام (٣ / ٤٣٤) .

(٣) مقاتل الطالبيين (١٧) .

سنين[1] ، أي أنّ جعفراً كان في الرّابعة والثلاثين من عمره حين هاجر النبيّ ﷺ من مكّة المكرّمة إلى المدينة المنوّرة .

وقد استُشهد جعفر بمُؤْتَة من أرض الشام مُقْبلاً غير مُدْبرٍ مجاهداً للروم في حياة النبي ﷺ في شهر جمادى الأولى من سنة ثمانٍ الهجرية[2] (٦٢٩ م) ، أي أنّه استشهد وكان له من العمر اثنتان وأربعون سنة[3] .

وولدَ جعفرُ : عبدَ الله ، ومحمّداً ، وعَوْناً ، أمّهم : أسماء بنتُ عُمَيْس الخَثْعَميّة[4] ، ولما هاجر جعفر إلى أرض الحبشة ، حمل امرأته أسماء بنت

---

(١) أسد الغابة (١ / ٢٨٧) والاستيعاب (١ / ٢٤٢) والاصابة (١ / ٢٤٨) .

(٢) الاصابة (١ / ٢٤٨) وانظر تاريخ خليفة بن خياط (١ / ٤٩) والعبر (١ / ٩) . وتهذيب التهذيب (٢ / ٩٨) .

(٣) في تهذيب الأسماء واللغات (١ / ١٤٩) ، وكان لجعفر يوم توفي إحدى وأربعون سنة . أما في سيرة ابن هشام (٣ / ٤٣٦) فقد جاء : أنه قتل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة .

(٤) انظر نسبها في نسب قريش (٨٠ ـ ٨١) وجمْهرة أنساب العرب (٣٩٠ ـ ٣٩١) .

عُمَيْس ، فولدت له هناك : عبد الله ، ومحمّداً وعَوْناً .
ثمّ وُلد للنجاشي بعدما ولدت اسماء بنت عُمَيْس ابنها عبد الله بأيام ، فأرسل إلى جعفر : « ما سمّيتَ ابنَك ؟ » ، قال : « عبد الله » ، فسمى النجاشي ابنه عبد الله ، فأخذته أسماء وأرضعته حتى فطمته بِلَبَن عبد الله بن جعفر ، ونزلت بذلك عندهم منزلةً ، فكان مَنْ أسلم بالحبشة يأتي أسماء بَعْدُ ، يخبرُ خَبَرَهم . فلما ركب جعفر بن أبي طالب مع أصحاب السفينتين ، مُنْصَرَفهم من عند النجاشي ، حمل معه أسماء بنت عُمَيْس وَوَلَده الذين ولدوا هناك : عبدَ الله ، ومحمّداً ، وعَوْناً ، حتى قدم بهم المدينة ، فلم يزالوا بها حتى وجّه النبيّ ﷺ جعفراً إلى مُؤْتَة ، فمات بها شهيداً[1] .

ولجعفر ثلاثة أبناء من أسماء بنت عُمَيْس ، انقرض عقب محمّد من قِبَل ابنه القاسم ، ولم يكن له غيره ، ولعَوْن عقب غير مشهور ، وولد عبد اللّه بن جعفر ، وأولهم عليّ بن عبد اللّه بن جعفر ، وفيه الكثرة والعدد ، وأمه زينب بنت عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه من

(١) نسب قريش(٨١) .

فاطمة بنت رسول الله ﷺ[1] .

ولما استُشهد حمزة بن عبد المطلب ، خلّف ابنة واحدة ، فرآها علي بن أبي طالب تطوف حول الكعبة بين الرجال ، فأخذ بيدها وألقاها إلى فاطمة في هَوْدَجها . واختصم فيها عليّ بن أبي طالب ، وجعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة حتى ارتفعت أصواتهم ، فأيقظوا النبيّ ﷺ من نومه ، فقال : « هَلُمّوا أقْضِ بينكم فيها وفي غيرها » ، فقال عليّ : « ابنة عمي ، وأنا أخرجتها ، وأنا أحقّ بها » ، وقال جعفر : « ابنة عَمّي ، وخالتها عندي » ، وقال زيد : « ابنة أخي »[2] ، فقال في كلٍّ واحدٍ قولاً رضيه ، فقضى بها لجعفر ، وقال : « الخالة والدة » ، فقام جعفر فحجل[3] حول النبيّ ﷺ ، دار عليه ، فقال النبيّ ﷺ : « ما هذا ؟ » ، قال: « شيءٌ

---

(١) انظر التفاصيل في جمهرة أنساب العرب(٦٨ ـ ٦٩) ونسب قريش (٨٠ ـ ٨٣) وانظر تهذيب الأسماء واللغات (١ / ١٤٩) .

(٢) آخى النبي ﷺ بين حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة في مؤاخاة مكة ، انظر المحبر (٧٠) .

(٣) حجل ـ حجلاً وحجلاناً : مشى على رجل ، رافعاً الأخرى . ويقال : مر يحجل في مشيته : وإذا تبختر .

رأيتُ الحبشةَ يصنعونه ، بملوكهم » ، وخالة بنت حمزة أسماء بنت عُمَيْس ، وأمّها سَلْمَى بنت عُمَيْس[1] .

وقال النبيّ ﷺ لجعفر حين تنازع هو وعلي وزيد في ابنة حمزة : « أَشْبَهَ خَلْقُكَ خَلْقِي ، وخُلُقُك خُلُقِيْ » ، وفي رواية أخرى : « أَشْبَهْتَ خَلْقِيْ وخُلُقِي » ، وفي رواية ثالثة : « إنّك شَبِيْهُ خَلْقِي وخُلُقِي »[2] ، فهو أحد المعدودين من المشبَّهين بالنبيّ ﷺ[3] .

وكان اسم ابنة حمزة رضي اللّه عنه : أُمَامَة ، زوّجها رسول اللّه ﷺ سَلْمَة بن أبي سَلْمَةِ ، وكان يقول : « هل جزيت سَلْمَة ؟ » ، يعني حين زوّجه بنت حمزة بتزويجه إياه أمّه أمّ سَلَمَة[4] .

وقد تزوّج أسماء بنت عُمَيْس بعد جعفر أبو بكر الصدِّيق رضي اللّه عنه ، ثم تزوجها عليّ بن أبي طالب

---

(١) طبقات ابن سعد (٤ / ٣٥ - ٣٦) وانظر جمهرة أنساب العرب (٣٩٠) حول نسب أسماء وسلمى ابنتي عميس .

(٢) طبقات ابن سعد (٤ / ٣٦) .

(٣) انظر أسماءهم في المحبر (٤٦ - ٤٧) .

(٤) المحبر (١٠٧) .

رضي الله عنه[1] .

ولما أتى رسول الله ﷺ قتلُ جعفر كما روت عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها فقالت : « عرفنا في وجه رسول الله ﷺ الحزن »[2] . ثم أمهل عليه الصلاة والسلام آل جعفر ثلاثاً أن يأتيهم ، ثم أتاهم فقال : « لا تبكوا على أخي بعد اليوم » ، ثم قال : « ائتوني ببني أخي » ، فجيء بنا كأننا أفراخ ، فقال : «ادْعوا إليّ الحلّاق » ، فدُعيَ ، فحلق رؤوسنا » ، ثم قال : « اللّهم اخْلُف جعْفراً في أهله ، وبارك لعبد اللّه في صفقة يمينه» ثلاث مرّات ، فجاءت أسماء وذكرت يُتْم أولادها ، فقال : « العيلة تخافين عليهم ، وأنا وليُّهم في الدنيا والآخرة ؟ »[3] .

وصلّى النبيّ ﷺ على جعفر ، ودعا له ، ثمّ قال : « استغفروا لأخيكم جعفر ، فإنّه شهيد ، وقد دخل

---

(١) المحبر (٤٤٢ - ٤٤٣) .
(٢) الاصابة (١ / ٢٤٩) .
(٣) طبقات ابن سعد (٤ / ٣٧) .

الجنّة ، وهو يطير فيها بجناحين من ياقوت حيث شاء من الجنة »[1] .

وذُكر عن عبد اللّه بن جعفر أنّه قال : « أنا أحْفَظُ حين دخل رسول الله ﷺ على أُمِّي ، فنعى لها أبي ، فأنْظُرُ إليه ، يمسح على رأسي ، وعيناه تهرقان بالدموع ، حتى تقطر لحْيَتُهُ ، ثمّ قال : « اللهُمَّ إنَّ جعفراً قدم إلى احسن الثّواب ، فاخلفْه في ذرّيته بأحسن ما خلفتَ أحداً من عبادك في ذُرِّيّته » ، ثمّ قال : « يا أسْماءُ! ألاَ أُسَرِّكِ ؟ » ، قالت : « بَلى ، بأبي أنتَ وأُمِّي » ، قال : « إنَّ الله جعل لجعفر جناحين يطير بهما في الجنّة » ، قالت : « بأبي أنت وأُمي يا رسول الله ، فأعْلمِ الناس ذلك » ، فقام رسول الله ﷺ ، وأخذ بيدي حتى رَقِيَ المِنْبَر ، وأجلسني أمامه على الدُّرجة السُّفلى ، والحُزْنُ يُعْرَف عليه ، فتكلّم ، فقال : «إنّ المرء كثير بأخيه وابن عمّه ، ألاّ إنّ جعفراً قد استشهدَ ، وقد جعل الله له جناحين يطير بهما في الجنَة » ، ثمّ نزل رسول الله ﷺ ،

(١) طبقات ابن سعد (٤ / ٣٨) .

فدخل بيته ، وأدخلني معه ، وأمر بطعام فصنُع لأهلي ، وأرسل إلى أخي ، فتغدّينا عنده ، والله غداءً طيِّباً مباركاً : عمدَتْ سَلْمَى خادمُه إلى شعيرٍ ، فطحنته ، ثم نسفته ، فأنضجَتْه ، وأدَمَتْهُ بزيتٍ ، وجعلت عليه فُلْفُلاً ، فتغدّيت أنا وأخي معه ، فأقمنا ثلاثة أيام في بيته ، ندور معه كلّما صار في بيت إحدى نسائه ، ثمّ رجعنا إلى بيتنا(١) .

وفي صحيح البخاري أن عبد الله بن عمر بن الخطاب كان إذا سلّم على ابن جعفر قال : « السلام عليك يا ابن ذى الجناحين(٢) » ، لأنّه قاتل في مُؤْتَة فقطعت يداه والراية معه لم يُلقها ، فقال رسول الله ﷺ : « أبدله الله جناحين يطير بهما في الجنة » .

ولما نعى رسول الله ﷺ جعفراً إلى زوجه أسماء بنت عُمَيْس ، قامت وصاحت وجمعت النساء ، فدخلت عليها فاطمة بنت النبيّ ﷺ وهي تبكي وتقول : « واعمّاه ! » فقال رسول الله ﷺ : « على مثل جعفر

---

(١) نسب قريش (٨١ ـ ٨٢) .

(٢) تهذيب الأسماء واللغات (١ / ١٤٩) والاصابة (١ / ٢٤٩) .

فَلْتَبْكِ البواكي » ، ودخله من ذلك همٌّ شديد . ولما رجع عليه الصّلاة والسّلام إلى أهله قال : « لا تغفلوا آل جعفر ، فأنّهم قد شُغلوا »[2] ، فأعدوا لآل جعفر طعاماً ، وأوصى أسماء زوج جعفر بقوله : « لا تقولي هُجْراً ، ولا تضربي صدراً »[3] .

وكان ممّا بُكِيَ به شهداء مُؤْتَة من أصحاب رسول الله ﷺ ، قول حسان بن ثابت :

تأوَّبني لَيْلٌ بِيَثْرِبَ أعْسَرُ
وَهَمٌّ إذا ما نَوَّمَ النَّاسُ مُسْهِرُ[4]
لِذِكْرى حَبِيْبٍ هَيَّجَتْ لِي عَبْرَةً
سَفُوحاً وأسبابُ البكاءِ التذكّرُ[5]
بَلَى إنَّ فُقْدانَ الحبِيْبِ بَلِيَّةٌ
وَكَمْ مِنْ كَرِيْمٍ يُبْتَلَى ثُمَّ يَصْبِرُ

---

(١) أسد الغابة (١/٢٨٨) .
(٢) أسد الغابة (١ / ٢٨٩) .
(٣) انساب الأشراف (١ / ٣٨٠) .
(٤) تأوبني : عادني ورجع إلى ، وأصله آب يؤوب : رجع واعسر : شديد العسر . ومسهر : داع إلى السهر ، ومانع من النوم .
(٥) العبرة : الدمعة . والسفوح : السائلة أو الشديدة السيلان .

رَأيْــتُ خِــيَــارَ الــمــؤمِــنِــيْــنَ تَــوَارَدُوا

شَــعُــوبَ وَخَــلْقــاً بَــعْــدَهُــمْ يَــتَــأخَّــرُ[١]

فَــلا يُــبْــعِــدَنَّ الله قَــتْــلى تَــتَــابَــعُــوا

بِــمُؤْتَــةَ مِــنْهُــمْ ذو الــجــنــاحَــيْــنِ جَــعْــفَــرُ

وَزَيــدٌ وعَــبْــدُ الــله حِــيْــنَ تَــتَــابَــعُــوا

جــمــيــعــاً وأســبــابُ الــمَــنِــيَّــةِ تَــخْــطُــرُ[٢]

غَــداةَ مَــضَــوا بــالــمؤمــنــيــنَ يَــقُــوْدُهُــمْ

إلــى الــمَــوْتِ مَــيْــمُــوْنُ الــنَّــقِــيْــبَــةِ أزْهَــرُ[٣]

أغَــرُّ كَــضَــوْءِ الــبَــدْرِ مِــن آلِ هَــاشِــمٍ

أبِــيٌّ إذا سِــيْــمَ الــظُّــلامَــةَ مِــجْــسَــرُ[٤]

---

(١) شعــوب : تــروى بضم الشيم فهي جمــع شعب ، وهــو القبيلة ، ويقال : هو أكبر منها ، ويجب حينئذ نصبها منونة ، وتــروى بفتح الشين ، فهي المنيــة ، فعول ، بمعنى فــاعل سميت بــذلــك لأنهــا تشعب الأحباب ، أي تفرقهم . وخلقاً : تروى بــالفــاء ، ومعنــاه الذي يأتي بعدهم ، وتروى بالقاف ، وهو ظاهر المعنى .

(٢) تخطر : تقول : خــطر فلان في مشيتــه : إذا اختــال فيهــا وتبختــر وتحرك واهتز .

(٣) ميمــون النقيبة : يــريد أنــه مسعود منجــح فيمــا يــطلبــه . وأزهــر : أبيض .

(٤) الأبي · العزيز الــذي يأبى الضيم ، أي يمتنــع من قبولــه . سيم : كلف . المجسر : الشديد الجسارة .

فَطَاعَنَ حتى مالَ غيرَ مُوَسَّدٍ
بِمُعْتَرَكٍ فيه قَنَاً مُتَكَسِّرُ[1]

فصارَ مع المُسْتَشْهِدِين ثَوابُهُ
جِنَانٌ ومُلْتَفُ الحدائِقِ أخْضَرُ[2]

وكُنَّا نَرى في جَعْفَرٍ من مُحَمَّدٍ
وَفَاءً وأمْراً حازماً حينَ يَأمُرُ

وما زال في الاسلامِ من آلِ هاشِمٍ
دَعَائِمُ عِزٍّ لا يَزُلْنَ وَمَفْخَرُ

هُمُ جَبَلُ الإسلامِ والنَّاسُ حَوْلَهُمْ
رِضَامٌ إلى طَوْدٍ يَرُوقُ وَيَبْهَرُ[3]

بَهَالِيْلُ مِنْهُمْ جَعْفَرٌ وابنُ أُمِّهِ
عَلِيٌّ ومنهم أحْمَدُ المُتَخَيَّرُ[4]

وحَمْزَةُ والعَبَّاسُ مِنْهُمْ ومنهمُ
عَقِيْلٌ وماء العُوْدِ من حيثُ يُعْصَرُ

---

(١) المعترك : موضع الحرب .

(٢) الحدائق : جمع حديقة ، وهي الجنة .

(٣) الرضام : جمع رضم ، وهو الحجارة يجعل بعضها فوق بعض .
والطود : الجبل . ويروق : يعجب .

(٤) البهاليل : جمع بهلول ، وهو السيد .

بِـهِـمْ تُـفْـرَجُ الَّـلأْواءُ فـي كـلِّ مَـأْزَقٍ
عَمَاسٍ إذا مـا ضـاق بـالنَّـاسِ مَصْـدَرُ[1]
هُـمُ أولـيـاءُ الله أَنْزَلَ حُـكْـمَـهُ
عـليهم وفـيهـم ذا الـكـتـاب الـمُـطَّهـرُ

وقال كعب بن مالك يرثي جعفر بن أبي طالب :

هَـدَتِ الـعيـون ودَمْـعُ عَـيْـنـكَ يَـهْـمُـلُ
سَحّـاً كَمَـا وَكَفَ الـطُّبَـابُ المُخْضِـلُ[2]
فـي لَـيْـلَةٍ وَرَدَتْ عَـلَيَّ هُـمُـومُـهـا
طَـوْراً اخـنُّ وتَـارَةً أَتـمـلْمَـلُ[3]

---

(١) الـلأواء : الشدة . والمـأزق : المكـان الضيق . والعمـاس : المظلم ، يريد عند ارتفاع الغبار فيه .

(٢) يهمل : يسيل ، تقول : همل الدمع : إذا سال . وسحا : صبا . ووكف : قطر . والطباب : ثقب في خرز المزادة التي يجعل فيها الماء . والمخضل اسم فاعل من أخضل : إذا تندى .

(٣) في البداية والنهاية (٤ / ٢٦١) : اتمهل ، وورد كذلـك في سيرة ابن هشـام (٣ / ٤٤٣) : كمـا في أعـلاه ، وأخن : مضـارع من الخنـة ، وهي صـوت يخـرج من الأنف مـع بكـاء ، أتملمـل : اتقلب .

واعْــتَــادنــي حَــزْنٌ فَــبِــتّ كَــأنــنــي
بِبَنَـاتِ نَـعْشٍ والـسِّـمَـالُ مُـوَكَـلُ[1]
وكــأنّــمَــا بيــنَ الجَــوانِــح والــحَشَــا
مــمّــا تَــأوّبــنــي شِــهَــابٌ مُــدْخَــلُ[2]
وَجْــداً عــلى الــنّـفــرِ الــذيــنَ تَــتَــابَــعُــوا
يــومــاً بــمُــؤْتَــةَ أُسْـنِـدُوا لـم يُـنْـقَـلوا
صَــلّى الإلَــهُ عــلــيــهــمُ مــن فِــتْــيَــةٍ
وسَقَى عِـظَامَـهُمُ الـغَـمَـامُ الـمُـسْبِـلُ[3]
صَـبَـروا بمُـؤْتَـةَ لـلإلَـه نفـوسَـهُـمْ
حَــذَرَ الــردى ومَــخَــافَــةً أنْ يَــنْــكُـلوا[4]
فَـمَـضَــوْا أمَــامَ الـمـسلمـيــن كــأَنــهــم
فَـنَـقٌ عـلَيْـهِـنَّ الـحَـديـدُ الــمُـرْفَـلُ[5]

---

(١) بنات نعش : من النجوم المعروفة .

(٢) الجوانح : عظام اسفل الصدر . والشهاب : القطعة من النار . ومدخل اسم مفعول من أدخل .

(٣) المسبل : الممطر ، ويقال للمطر سبل .

(٤) ينكلوا : يرجعوا عن عدوهم هائبين .

(٥) فنق : جمع فنيق ، وهو الفحل من الأبل . والمرفل : الذي تجر أطرافه على الأرض .

إذْ يَـهْـتَـدونَ بـجـعـفـرٍ ولـوائِـهِ
قُـدَّامَ أوّلـهـم فَـنِـعْـمَ الأوَّلُ
حتى تَـفَـرّجَتِ الـصُّـفـوفُ وجـعـفـرٌ
حيثُ الْتَقَى وَعْثَ الصفُّـوف مُـجَـدَّل[1]
فَـتَـغَـيّـرَ الـقَـمَـرُ الـمـنـيـرُ لـفَـقْـدِهِ
والشَّمْسُ قـد كُـسِفَـتْ وكـادتْ تَـأفِـلُ[2]
قَـرْمٌ عَـلاَ بُـنْـيَـانُـهُ مـن هـاشِـم
فَـرْعـاً أشَـمَّ وسُـؤْدَداً مـا يُـنْـقَـلُ[3]
قَـوْمٌ بـهـمْ عَـصَـمَ الإلٰـهُ عِـبَـادَهُ
وعـلـيهـمُ نَـزّلَ الـكـتـابُ الـمُـنْـزَلُ
فَضَـلُـوا الـمَـعَـاشِـرَ عِـزَّةً وتَـكَـرمـاً
وتَـغَـمّـدَتْ أحْـلاَمُـهُـمْ مَـنْ يَـجْـهَـلُ[4]

---

(١) الوعث : الرمل الذي تغيب فيه الأرجل . ومجدل : مطروح على الجدالة ، وهي الأرض .
(٢) تأفل تغيب .
(٣) القرم : أصله الفحل من الأبل ، وأراد منه هنا : السيد . وقوله وما ينقل يروى بالقاف ، ومعناه ظاهر ويروى بالفاء ، ومعناه : لا يحجر .
(٤) تغمدت أحلامهم من يجهل : أي سترت أهل الجهل .

لا يُطْلِقُوْنَ إلى السَّفاهِ حُبَاهُمُ
وتَرَى خَطِيْبَهُمُ بِحَقٍّ يَفْصِلُ[1]

بِيْضُ الوجوهِ ترى بُطُونَ أكُفِّهِمْ
تَنْدَى إذا اعْتَذَرَ الزَّمانُ المُمْحِلُ[2]

وبِهَدْيِهِمْ رَضِيَ الإلهُ لِخَلْقِهِ
وبِجَدِّهم نُصِرَ النبيّ المُرْسَلُ[3]

وقال حسان بن ثابت يبكي جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه :

ولقد بَكَيْتُ وعَزَّ مَهْلِكُ جَعْفَرٍ
حِبُّ النبيِّ على البَرِيَّة كُلِّها

---

(١) الحبى : بضم الحاء مقصوراً ، جمع حبوة ، مثل خطوة وخطى ، والحبوة أن يشبك المرء أصابع يديه بعضها ويجعلها في ركبتيه إذا جلس ، وربما احتبى الناس بحمائل السيف ونحوها .

(٢) الممحل : هو من المحل ، وهو الشدة والقحط وكلب الزمان والجدب .

(٣) بجدهم : يروى بالحاء المهملة والجيم مكسورة ، فأما من رواه بالمهملة ، فقد أراد به إقدامهم وشجاعتهم وجرأتهم في أوقات النزال . وأما من رواه بالجيم المكسورة ، فهو الاجتهاد .

ولـقـد جَـزِعْتُ وقلتُ حيـن نُعِيْتَ لـي

مَنْ للجِـلادِ لَـدَى الـعُـقَـابِ وظِـلِّهـا[1]

بـالـبِيْضِ حيـن تُـسَـلُّ من أغْـمـادِهـا

ضَـرْبـاً وإنْـهَـالِ الـرِّمـاحِ وعَـلِّهـا[2]

بـعـدَ ابن فـاطِـمـةَ الـمـبـارِكِ جَـعْـفَـرٍ

خـيـرِ الـبَـرِيَّـةِ كُـلِّـهـا وأجـلِّهـا[3]

رُزْءاً وأكـرمِـهـا جـمـيـعـاً مَـحْـتِـدَاً

وأعَـزِّهـا مُـتَـظَلِّـمـاً وأذَلِّـهـا

لـلحق حـيـن يـنـوبُ غـيـر تَـنَـحُّـلٍ

كـذِبـاً وأنـداهـا يَـداً وأقـلِّهـا[4]

فُـحْـشـاً وأكـثـرِهـا إذا مـا يُـجْـتَـدَى

فَـضْـلاً وأنـداهـا يـداً وأبـلِّهـا[5]

---

(١) العقاب في هذا المكان : الراية .

(٢) الانهال : أن تسقى الناس بعد الشراب الأول ، وهو معطوف على قوله الجلاد في البيت السابق . والعل : الشرب الثاني .

(٣) فاطمة ههنا : هي أم جعفر وعلي وعقيل أبناء أبي طالب ، هي أول هاشمية ولدت لهاشمي .

(٤) التنحل : الانتحال ، والتنحل : الكذب أيضاً .

(٥) يجتدى : تطلب جدواه ، والجدوى بفتح الجيم : المنحة والعطية .

بـالـعُـرْفِ غـيـرَ مُـحَـمَّـدٍ لا مِـثْـلُهُ
حَـيٌّ مِـن احـيـاءِ الـبَـرِيَّـةِ كـلِّهـا[1]

والشِّعر في رثائه كثير ، اكتفينا بجزء منه .

لقد كانت لجعفر مواقف مشهورة ، ومقامات محمودة ، وأجوبة سديدة ، وأحوال رشيدة ، وقال فيه أبو هُريرة : « ما احتذى النِّعال ولا انتعل ، ولا ركب المطايا ، ولا لبس الثياب من رجل بعد رسول الله ﷺ ، أفضل من جعفر بن أبي طالب » ، وكأنه إنّما يفضّله في الكرم ، فأما في الفضيلة الدينيّة ، فمعلوم أنّ الصدّيق والفاروق بل وعثمان بن عفّان أفضل منه . وأما أخوه عليّ بن أبي طالب فالظّاهر أنّهما متكافئان أو عليٌّ أفضل منه ، وإنّما أراد أبو هريرة تفضيله بالكرم ، بدليل ما رواه البخاري عن أبي هريرة : « كان خير الناس للمساكين جعفر بن أبي طالب ، وكان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته ، حتى إن كان ليخرج إلينا العُكّة[2] التي ليس فيها

(١) سيرة ابن هشام (٣ / ٤٤٠ ـ ٤٤٥) وانظر البداية والنهاية (٤ / ٢٥٧) و (٤ / ٢٦٠ ـ ٢٦٢) ومقاتل الطالبيين (١٠ ـ ١١) .
(٢) العكة : زق صغير للسمن ، جمعها : عكك ، وعكاك .

شيء ، فنشقّها ، ونلعق ما فيها » تفرّد به البخاري[1] ، فهو الجواد أبو الجواد[2] بحق . وكان أبو هريرة كما روي البغوي يقول : « كان جعفر يحب المساكين ويجلس إليهم ويخدمهم ويخدمونه (يحدِّثهم ويحدِّثونه) ، فكان رسول الله ﷺ يكنيه : أبا المساكين[3] .

ولما عاد جعفر من أرض الحبشة مهاجراً إلى المدينة ، وقدم مع المسلمين في السفينتين على رسول الله ﷺ في خَيْبَر ، أسهم لهم من غنائم خيبر ولم يسهم لمن لم يحضرها غير أهل السفينتين[4] ، فكانت حصة جعفر خمسين وسقاً من تمرٍ في كلِّ سنة[5] .

وقد ورد ذكر جعفر في (المختصر) وفي مواضع من (المهذَّب) ، منها : باب التكبير في العيد ،

---

(1) البداية والنهاية (٤ / ٢٥٦ ـ ٢٥٧) .
(2) تهذيب الأسماء واللغات (١ / ١٤٨) وتهذيب التهذيب (٢ / ٩١) .
(3) الاصابة (١ / ٢٤٨) .
(4) تهذيب الأسماء واللغات (١ / ١٤٨) .
(5) طبقات ابن سعد (٤ / ٤١) .

والتعزية ، والشّرط في الطلاق ، والحضانة[1] . روى عن النبيّ ﷺ ، وروى عنه ابنه عبد الله وبعض أهله وأمّ سَلَمَة وعمرو بن العاص وابن مسعود ، وروى له النسائي في اليوم والليلة حديثاً واحداً من رواية ابنه عبد الله عنه في كلمات الفرج والمحفوظ عن عبد الله بن جعفر عن عليّ بن أبي طالب[2] .

وكان عبد الله بن جعفر يقول : « ما سألت عليّاً فامتنع ، فقلت له : بحق جعفر ، الاّ أعطاني »[3] .

وكان عليّ بن أبي طالب يقول : « قال رسول الله ﷺ لم يكن قبلي نبيّ إلاّ قد أُعطي سبعة رفقاء نجباء وزراء ، وإني أُعطيت أربعة عشر » ، وعدّد أسماءهم ومنهم جعفر[4] .

وكان احد حواري رسول الله ﷺ وهم : أبو بكر ،

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات (١ / ١٤٨) .

(٢) تهذيب التهذيب (٢ / ٩٨) وانظر خلاصة تهذيب تهذيب الكمال (٦٣) .

(٣) الاصابة (١ / ٢٤٨) والاستيعاب (١ / ٢٤٤) وأسد الغابة (١ / ٢٨٩) .

(٤) أسد الغابة (١ / ٢٨٧ - ٢٨٨) .

وعمـــر ، وعليّ ، وحمـزة ، وجعفـــر ، وأبـــو عُبَيْـــدَةَ بن الجرّاح ، وعثمان بـن عفّان ، وعثمان بن مَظْعُون ، وعبد الـرحمن بن عَوْف ، وسعـد بن أبي وقّـاص ، وطلحـة بن عُبَيْـد الله ، والزبيـر بن العَوّام رضي الله عنهم ، وقيـل : للزبير بن العَوّام وحده[1] حواري رسول الله ﷺ .

وصـدقت زوجـه أسمـاء بنت عُمَيْس حيث وصفتـه بعد موته قائلة : « ما رأيتُ شاباً من العرب كـان خيراً من جعفر ، ولا رأيتُ كهلاً خيراً من أبي بكر »[2] .

وصدقت في رثائه حين قالت :

فـآليـتُ لا تَـنْـفَـكُّ نـفـسـي حـزيـنـةً
عـليـك ولا يـنـفـكّ جـلـدي أغْـبَـرا
فللّـه عَـيْـنـاً مَـنْ رأى مـثـلـه فـتـىً
أكـرَّ وأحـمـى فـي الـهـيـاجِ وأصـبـرا[3]

ومنـاقب جعفـر كثيـرة مشهـورة[4] .

---

(١) المحبر (٤٧٤) .
(٢) طبقات ابن سعد (٤ / ٤١) .
(٣) البداية والنهاية (٤ / ٢٥٣) .
(٤) تهذيب الأسماء واللغات (١ / ١٤٩) .

القائـــد

عـاد جعفر إلى المـدينة المنّـورة مهاجـراً إليهـا من هجـرته إلى أرض الحبشـة في أعقـاب غـزوة خَيْبَـر التي كانت في شهر محرّم من سنة سبع الهجريّـة ، كما ذكـرنا من قبل .

وكـانت غـزوة مُؤْتَـة في شهـر جمـادى الأولى من السنة الثامنة الهجرية ، فمكث مع النبيّ ﷺ سنـة وثلاثـة أشهـر ، لم يكن فيهـا من الاحـداث المهمّـة غيـر عُمْـرَة القضاء التي كانت في شهر ذي القعدة من السنة السّابعـة الهجريّة التي شهـدها النبيّ ﷺ وغيـر بعض السرايـا التي قادها أصحاب النبيّ ﷺ .

ثم جاءت سريّـة مُؤْتَة ، وهي من أهم سـرايا النبيّ ﷺ ، لأنهـا كانت على الـرّوم في أرض الشّام وحلفـائهم من العـرب الغسـاسنـة النصـارى وحلفـاء الغسـاسنـة من العرب النصارى والمشركين ، فكانت أوّل سريّة تتعـرض بالدولة البيزنـطية وهي أكبـر دولتين في العالم حينـذاك : الـرّوم والفُرْس ، كمـا كانت أوّل سـريّـة تنهض بتعـرضّ خـارجيّ على نـطاق دولي لا على نـطاق محليّ قَبَليّ ،

لذلك احتفل النبيّ بهذه الغزوة ، وحشد لها ثلاثة آلاف مجاهد من المسلمين وَوَلّى قيادتها : زيد بن حارثة الكلبي ، وجعفر بن أبي طالب ، وعبد الله بن رَوَاحة .

وبالرغم من قِصَر المدّة التي بقى فيها جعفر إلى جانب النبيّ ﷺ ، إلاّ أنّه شارك في سرية مُؤْتَة قائداً ، فخاض معركة مهمّة جداً من معارك المسلمين على الرّوم وحلفائهم ، وهي المعركة التمهيديّة الحقيقيّة لفتح بلاد الشّام التي حملت المسلمين على تأسيس أوّل ركن لدولة الاسلام خارج شبه الجزيرة العربيّة ، على شواطىء البحر الأبيض المتوسط الشرقيّة . ذلك أنّ الرسول ﷺ إلى جانب تبليغه الدعوة الاسلامية إلى قادة العالم في وقته ، كان قائداً ماهراً يقظاً لا يغضّ الطرف يقف ساكناً إزاء استشهاد رسوله الذي بعثه إلى أمير الغساسنة في بُصْرَى ، فأرسل سرية مُؤْتَة للأخذ بثأر رسوله الشهيد . وهناك عند مُؤْتَة على حدود البَلْقَاء إلى الشرق من الطرف الجنوبي للبحر الميت ، التقى المسلمون بقوات الرّوم .

ومهما تكن الخاتمة التي لقيتها سرية مُؤْتَة ، فإن نتائجها وآثارها كانت بعيدة المدى ، فبينما رأى الرّوم

تلك السريّة (غـارة) من الغارات التي اعتـاد البدو شنّهـا للنّهب والسّلْب ، كانت تلك السريّة في الواقع ومعركتهـا من نوع جديد لم تقدِّر دولـة الروم أهميتهـا ، فهي حرب منظّمـة كـانت لهـا مهمّـــة خـاصـــة ، جعلت المسلمين يتطلّعون جدّياً لفتح أرض الشّام .

وفي العام التالي ، أي في السنة التاسعـة الهجريّـة (٦٣٠ م) ، قاد النبيّ ﷺ بنفسه غزوة (تبوك) ، فـأظهر قوّة المسلمين ، وعاد إلى المدينة منتصراً .

لقد قدّر الرسول القائد عليه أفضل الصّلاة والسّلام بعمق ودقـة أهميـة سـريّـة مُؤْتَـة وأهميـة المعـــركـة التي تخوضها ، وخطورتها على حاضر المسلمين ومستقبلهم ، لذلك جعـل على تلك السريّـة ثلاثـة قادة من أبـرز قادتـه وألمعهم ، إذا سقط الأول شهيداً ، تولّى القيـادة الثاني ، فإذا استُشهد الثاني تولّاها الثّالث ، فإذا استُشهدَ اصـطلح المسلمون على قائـد يختارونـه . وما ولّى النبيّ ﷺ قبـل سرية مُؤتة ولا وَلى بعدها ثلاثة قادة أو قائدين على سـرية واحدة ، ولكن بُعْدَ نظره عليه الصّلاة والسّلام ، وتقـديره

لأهمية هذه السرية وخطورتها هو الذي جعله يـولي ثلاثـة قـادة على سـريـة واحـدة ، مـرة واحـدة فقط في حيـاتـه العسكـرية كلِّهـا ، وقـد صـدقت الأحـداث مـا تـوقعـه ، فانهزمت السرية تعبـوياً ولكنّهـا انتصرت سـوقياً ، وأثـرت في معنويات الرّوم تأثيراً عظيماً .

والهزيمة التعبوية لا تُعَدُّ بالنسبـة للانتصـار السّوْقي كما هو معلوم .

وتـولية جعفـر القيادة في سـرية مُؤْتَـة على أهميتها وخطورتها ، دليل على كفايته القيادية وأنّه قـائد من طـراز فريد .

وليس من الصعب اكتشاف سمات جعفر القياديّة ، فقد كان من أولئك القادة ذوي العقيدة الراسخـة ، الذين يضحّون أرواحهم من أجل عقيدتهم ، ويعتبرون الشّهـادة فوزاً عظيماً .

وحين رفع اللّواء جعفر بعد استشهاد سلفـه زيد بن حارثة ، كـان يعلم بالتـأكيد أنّـه يسلك طريق الشهـادة ، فأقبل على مصيره المرتقب مُقْبلاً غير مدبر باصرار وعنـاد

واستقتال ، وهو دليل على شجاعته النادرة التي لا تتكرر إلّا في المجاهدين الصّادقين المحتسبين من ذوي العقيدة الرّاسخة والايمان العميق .

وكان يتمتّع بعقل سديد ومنطق صائب وذكاء وقّاد ، مما يؤدي إلى أن تكون قراراته سريعة صحيحة .

وكان ذا إرادة قويّة ثابتة ، يتحمّل المسؤولية ويحبّها ولا يتهرّب منها أو يلقيها على عواتق الآخرين .

وكان ذا نفسية لا تتبدّل في حالتي النصر والاندحار ، ثابتة على الخطوب والأحداث ، والايمان بالقضاء والقدر يقوّي هذا الاتجاه .

وكان يعرف نفسيات رجاله وقابلياتهم ، ويكلّف كلّ فرد منهم ما يستطيع أن يؤديه بكفاية وإتقان .

وكان يثق برجاله ويثقون به وكان موضع ثقة النبيّ ﷺ وثقة أصحابه الكاملة ، وكان يحبّ رجاله ويحبونه ، ويعتمد عليهم ويعتمدون عليه .

وكان ذا شخصية نافذة ، يضبط رجاله ويسيطر

عليهم ، ويتحلى بـالطّاعـة التي هي الضبط المتين في أجلى مظاهره .

وكان ذا ماضٍ ناصع مجيد نسباً وفي خـدمة الدِّين الحنيف .

وكـان عـارفـاً بمبادىء الحـرب : يختـار مقصـده ويـديمه ، يتخـذ مبدأ التعـرضّ سبيلاً لمعـركته ، يحشـد قوّته ، ويقتصد بمجهوده ، ويطبّق مبدأ الأمن على قوّته ، ويديم معنوياتها ، ويرعى قضاياها الإداريّة .

ولم يطبّق مبدأ : المبـاغتة في هـذه السريّـة ، فقد كان من الصعب إخفاء حركتها في تلك الظروف التي كان العدو يتوقع أن يهاجمهم المسلمون بعد مقتـل رسول الله ﷺ إلى أمير الغساسنة ، إذ من الصعّب السكوت عن قتله أو إهماله ، وهو رسول من رسُل الدعـوة والرُّسـل لا تُقْتَل أبداً ، بل تُكرّم بموجب العُرْف السائـد حينذاك حتى بين القبـائل العـربيّة التي تسكن الصحـراء البعيدة عن معـالم الحضارة .

لقـد كـان قـائـداً متميّـزاً ، وحسبـه أن يكـون من

خريجي مدرسة الرسول القائد العظيمة عليه الصّلاة والسّلام في القيادة . . . والعقيدة .

السفير

كانت مزايا جعفر سفيراً واضحة المعالم ، أهّلته للنهوض بواجبه في تبليغ رسالة النبيّ ﷺ للنجّاشي ملك الحبشة على أحسن وجه ، وأهّلته للنهوض بواجب الدعوة إلى الله في أرض الحبشة ، فآمن على يديه النجاشي وكثير من بني قومه ، وأهّلته للدِّفاع عن المسلمين المهاجرين إلى أرض الحبشة تجاه مكايد سفيري مشركي قُريش اللذين كانا أثيرين لدى النجّاشي ولدى المقرّبين إليه من رجال الدين والسُّلطة ، ولديهما الهدايا والمال الذي يغرون به النجاشي ورجاله المقربين ، بينما لم يكن لدى جعفر ما يتقرّب به من الهدايا والمال للنجّاشي وغيره من أصحاب السلطان ، وكان يعاني الفقر والعوز والحرمان .

كما أهّلته تلك المزايا لقيادة المسلمين المهاجرين الذين قدموا معه أرض الحبشة من مكّة ، وقيادة

المسلمين الجُدُد من الأحباش الذين اعتنقوا الاسلام على يديه وعلى أيدي اخوانه المهاجرين إلى الحبشة وعلى المسلمين في أرض الحبشة كافةً ، ما دام مهاجراً في أرض الحبشة حتى التحق بالنبيّ ﷺ بالمدينة المنّورة ، فكان جعفر نِعْمَ السفير القويّ الأمين ، ونِعْمَ الداعية الحصيف الحكيم ، ونعم المدافع الجريء البليغ ، ونِعْمَ القائد الحازم المقتدر .

أوّل هذه المزايا ، الانتماء والايمان ، فقد كان انتماؤه للاسلام حاسماً جازماً ، وكان من الذين سارعوا إلى اعتناق هذا الدين ، فكان من السّابقين الأولين ، ولعلّ الدليل القاطع على إيمانه العميق هجرته إلى أرض الحبشة ، مخلِّفاً أهله وماله وبلده من أجل عقيدته ، وصبره الجميل على الغربة سنين طويلة في ظروف معايشة قاسية أو غير مريحة على أقلّ تقدير . وانتماؤه وإيمانه ، هو الذي حفّزه لرعاية إخوانه في الدِّين ، فكانت رعايته لهم لا تقلّ في حال من الأحوال عن رعاية أهله وزوجه وبنيه ، وادّى إلى الانسجام معهم في حياتهم الجديدة انسجاماً خفّف عليهم معضلات الغُربة في ديار

الغُربة ، ذلك لأن الثقة الكـاملة كانت متبـادلة بين جعفـر والمسلمين المهـاجـرين ، وبين المسلمين المهـاجـرين وجعفر ، فكان بحقّ الأب والأخ والقائد والأمير للمسلمين المهاجـرين وللمسلمين غيـر المهاجـرين من الأحبـاش أيضاً .

كما أنّ الانتماء المطلق للاسلام والعقيدة الـراسخة بتعاليمه ، أشـاع الانسجام الفكـريّ بين المجتمع أفـراداً وجماعات ، وهذا يؤدي إلى التعاون المثمر بغير حدود .

وكـان جعفر يتميـز ، بالفصـاحـة ، فهـو رجـل من قـريش أفصح العـرب ، ومن بني هاشم أفصـح قريش ، وعـرضـه قضيّـة المسلمين المهـاجـرين أمـام النجـاشي وبحضـور عمرو بن العـاص وصاحبـه ، خيـر دليـل على فصاحته المتميزة ومنطقه الواضح السّليم.

لقد كان أسلوبه البياني من ذلك السّهل الممتنـع ، الذي لا يشق فهمه على أحـد ، ولكن الاتيان بمثله على كل أحد إلّا نادراً .

وكان عالمـاً في الدِّين ، يحفظ مـا نزل من القـرآن

الكـريم ، ويتلوه على أسماع الآخـرين دليـلاً على شـرح الاسـلام ، وجـوابـاً على اعتـراض المعتـرضين وتسـاؤ ل المتسائلين .

وكـان على جـانب عـظيم من حسن الخُلُق ، فقـد كـان أخير النـاس للمسكين[1] ، ومـا احتـذى النعـال ولا ركب المطايا ولا ركب الكَوْر[2] بعد رسـول الله ﷺ أفضل من جعفر[3] ، وقال عليه الصّلاة والسّـلام : « أما أنت يـا جعفر ، فأشبهت خَلقي وخُلُقي »[4] ، وحسبه بذلك دليلاً على أنّه كان على خُلقٍ عظيم .

ولا شيء كـالخُلق الكريم يؤدي إلى نجـاح السّفير في سفارته ، لأنّه يستقطب القلوب حـوله ، ويشـدّ الناس إليـه ، ويجعله موضـع ثقتهم ، فيحقق ما يصبـو إليـه من أهداف دون عناء .

لقد كان جعفـر ومَنْ معه من المسلمين المهـاجرين

---

(١) أسد الغابة (١ / ٢٨٨) .

(٢) الكور : الجماعة الكثيرة من الأبل .

(٣) أسد الغابة (١ / ٢٨٧) .

(٤) مقاتل الطالبيين (١٢) وأسد الغابة (١ / ٢٨٧) .

إلى أرض الحبشة لاجئين ، فلما تأكد النجاشي أنّهم على حقّ ، وأنّهم أُخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أنّ يقولوا ربنا الله ، بسط حمايته عليهم ومنعهم من أعدائهم مشركي قريش ، وبالتدريج تطوّر حال جعفر من حال إلى حال ، حتى أصبح النّجاشي رجلاً من المسلمين له مالهم وعليه ما عليهم ، وانتهى الأمر بالمسلمين المهاجرين أن عادوا إلى وطنهم مكرمين معزّزين برعاية النّجاشي الكاملة وحمايته ، ولم يكن هذا التطور من حسن إلى أحسن إلاّ ثمرة من ثمرات الخُلق الكريم لجعفر بخاصة وللمسلمين المهاجرين بعامة .

وكان جعفر يتميّز بالصبر والحكمة ، وقد برز صبره الجميل في تحمل أخطار الهجرة من مكة إلى أرض الحبشة ، والتسلّل من مجتمع مشركي قريش الذين كانوا يناصبون أشدّ العداء للاسلام والمسلمين ، ويحرصون على بقاء المسلمين في مكة . ليتصرّف كلّ مشرك بما يشاء حين يشاء في إلحاق الأذى بالمسلمين القادرين على إلحاق الأذى بهم والذين لا يقدرون على الدفاع عن

أنفسهم ، وحتى لا ينجو المسلمون من أذى مشركي قريش ورقابتهم . وكان مشركو قريش يطاردون المسلمين المهاجرين ، ويمنعونهم بشتى الوسائل من الهجرة ، والذين يلقون القبض عليهم من المسلمين المهاجرين ، لا يفلتون من العقاب الصارم .

وبرز صبره الجميل في غربته الطويلة التي امتدّت أكثر من أربع عشرة سنة ، بعيداً عن أهله وقومه ووطنه .

كما برز صبره الجميل في مصاولة سفيري المشركين من قريش : عمرو بن العاص وصاحبه ، ومصاولة أشياعهما الأحباش المقربين من النجاشي ، والذين كان هواهم مع المشركين على المسلمين .

لقد كان في محنة طاحنة متّصلة ، تغلّب عليها بالصبر الجميل ، واجتازها بنجاح يدعو إلى الاعجاب ، ولكن بعناء شديد .

أما حكمته فتتجلّى في مناقشة عمرو بن العاص وصاحبه بحضور النجاشي ورجالاته ، وعمرو من دهاة

العرب المعدودين ، وقد ضمن بهداياه وأمواله حاشية النّجاشي إلى جانبه ، ولكن حكمة جعفر ومنطقه السديد ، فوّت الفرصة على عمرو وصاحبه ، وجعل كيدهما ومَنْ معهما من حاشية النّجاشي هباءً تذروه الرياح ، فحاق المكر السيء بأهله ، وانتصر الحقّ على الباطل ، وجاء الحق وزهق الباطل ، إن الباطلَ كان زهوقاً .

ولم يكن موقف جعفر في مناقشته الرائعة سهلاً على كلّ حال .

وكان جعفر ألمعي الذكاء ، لذلك كان واسع الحيلة ، وطالما صادفته المشاكل والعراقيل، منذ هاجر إلى الحبشة إلى أن هاجر إلى المدينة ، ولكّنه كان يجد لمشاكله ومعضلاته حلاً مناسباً ومخرجاً ملائماً .

وكان يتحلّى برواء المظهر ، فكان يملأ الأعين قَدْراً وجلالاً ، وقد قال فيه النبيّ ﷺ : « أَشْبَهَ خَلْقُكَ خَلْقي ، وخُلُقُكَ خُلُقِي » ، وفي رواية أخرى : « أَشْبَهْتَ خَلقي وخُلُقِي » وفي رواية ثالثة : « إنّك شَبِيْهُ خَلْقِي

وخُلْقِي »[1] ، فهو أحد المعدودين من المشبّهين بالنبيّ ﷺ[2] .

ومن المعروف أنّ النبيّ ﷺ ، كان متميّزاً برواء مظهره ، لا اختلاف في ذلك .

وما أصدق وصف زوجه أسماء بنت عُمَيْس له حين قالت : « ما رأيت شاباً من العرب كان خيراً من جعفر »[3] ، وقد قالت ما قالت بعد استشهاده وبعد أن تزوّجت غيره وكانت في عصمة زوجها الجديد .

لقد كان جعفر يتحلّى بمزايا السّفير النبويّ : الانتماء المطلق والايمان العميق ، والفصاحة العالية والعلم المتين وحسن الخلقِ ، والصبر الجميل والحكمة النّادرة ، وسعة الحيلة التي تستسهل الصعب وتحلّ المعضلات ، ورواء المظهر الذي يخلب العقول والقلوب معاً .

---

(١) طبقات ابن سعد (٤ / ٣٦) .
(٢) انظر أسماءهم في المحبر (٤٦ ـ ٤٧) .
(٣) طبقات ابن سعد (٤ / ٤١) .

لذلك نجح في مهمته سفيراً نجاحاً باهراً ، كما نجح في مهماته الأخرى التي لا تقلّ أهمية عن سفارته .

جعفر في التاريخ

يذكر التاريخ لجعفر ، أنّه كان من السّابقين الأولين إلى الاسلام ، وأنّه أسلم قبل أن يدخل الرسول ﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم .

ويذكر له ، أنّه هاجر الهجرتين : إلى أرض الحبشة من مكّة في الهجرة الأولى وإلى المدينة من ارض الحبشة .

ويذكر له ، أنّه كان من أوائل المهاجرين إلى أرض الحبشة ، ومن أواخر مَنْ عاد منها إلى المدينة من المهاجرين .

ويذكر له ، أنّه كان أمير المؤمنين لمهاجري الحبشة منذ هجرته ، إليها من مكة ، إلى عودته منها إلى المدينة .

ويذكر له ، أنّه كان أوّل سفير نبويّ في الاسلام ،

وأنّه أوّل مَنْ حمل رسالة من رسائل النبيّ ﷺ إلى ملوك العصر وحكامه .

ويذكر له ، أنّ النّجاشي ملك الحبشة ، أسلم على يديه ، كما أسلم على يديه قسم من الأحباش .

ويذكر له ، أنّه دافع عن الإسلام والمسلمين أمام النّجاشي دفاعاً منطقياً مُقْنِعاً ، فجعل النّجاشي مع المسلمين على أعدائهم المشركين .

ويذكر له ، أنّه كان أشبه الناس خَلْقاً وخُلُقاً برسول الله ﷺ ، ومن أحبّ الناس إليه واقربهم إلى قلبه .

ويذكر له ، أنّه كان جواداً من أجواد العرب المشهورين ، وأنّه كان خير الناس للمساكين من فقراء المسلمين .

ويذكر له ، أنّه كان من قادة النبيّ ﷺ ، وأنّه قاد سرية مُؤْتَة في موقف حرج عصيب ، فاستقبل السيوف والرِّماح مقبلاً غير مُدْبِر ، يتقدّم باللّواء الذي يحمله إلى أمام .

ويذكر له ، أنّه سقط شهيداً في ساحة المعركة ، دون أن يسقط لواء النبيّ ﷺ الذي رفعه بأسنانه بعد أن قطعت يداه .

رضي الله عن السفير الخطير ، الصحابي الجليل ، القائد الشهيد ، جعفر الطيّار بن أبي طالب الهاشِميّ القُرَشِيّ .

عبد الله بن رواحة الانصاري الخزرجي

النقيب الشاعر القائد الشّهيد

نسبه وأيّامه الأولى

هـو عبـد اللّه بن رَوَاحَـة بن ثَعْلَبَـة بـن امـرىء القيس بن عمرو بن امرىء القيس بن مـالـك الأغـر بن ثعلبة بن كَعْب بن الخَزْرَج بن الحَارث بن الخَزْرَج[1] .

وأمّه : كَبْشَة بنت واقد بن عمرو بن الأطنابة بن زيد مَنَاة بن مالك الأغر[2] ، من الخـزرج أيضاً ، يلتقي نسب أمه وأبيه بمالك الأغرّ .

وكان ابن رواحة يكنى : أبا محمّد ، وقيل : يكنى

---

(١) جمهرة أنساب العرب (٣٦٣) وطبقات ابن سعد (٣ / ٥٢٥) .
(٢) طبقات ابن سعد (٣ / ٥٢٥) .

أبا رواحة[1] ، ولعلّه كان يكنى بهما جميعاً[2] ، وليس له عقب[3] ، وهو خال النُّعمان بن بشير[4] ، لأنَّ عَمْرَة بنت رواحة هي زوج بشير بن سعد وأم النُّعمان بن بشير[5] .

وكان عبد الله بن رواحة يكتب في الجاهلية ، وكانت الكتابة في العرب قليلة[6] يومذاك ، فكان من العرب القلائل الذين يكتبون في الجاهليّة .

أسلم قديماً[7] وشهد بيعة العَقَبة الآخرة ، وبايع رسول الله ﷺ بها ، وكان الذين شهدوها من الأوس والخزرج ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين[8] ، وقيل كانوا سبعين وامرأتين[9] . واختار النبيّ ﷺ اثني عشر نقيباً ،

---

(١) أسد الغابة (٣ / ١٥٦) والإصابة (٤ / ٦٦) .
(٢) طبقات ابن سعد (٣ / ٥٢٦) .
(٣) طبقات ابن سعد (٣ / ٥٢٦) ، وفيه أنه خال بشير بن سعد ، والصحيح أن بشيراً زوج أخت عبد الله بن رواحة .
(٤) أسد الغابة (٣ / ١٥٧) .
(٥) الاستبصار (١١٢) .
(٦) طبقات ابن سعد (٣ / ٥٢٦) وتهذيب ابن عساكر (٧ / ٣٩٠) .
(٧) البداية والنهاية (٤ / ٢٥٦) .
(٨) سيرة ابن هشام (٢ / ٦٣) و (٢ / ٦٧) .
(٩) الدرر(٧٥) .

كان منهم عبد اللّه بن رواحة[1] ، فهو خزرجيّ أنصاري نقيب .

ولما هاجر النبيّ ﷺ من مكّة إلى المدينة صلى الجمعة في المسجد الذي في بطن الوادي في بني سالم بن عوف ، فكانت أوّل جمعة صلاّها في المدينة ، فأتاه رجال من بني سالم بن عَوْف ، فقالوا : « يا رسول الله ! أقم عندنا في العَدد والعُدَّة » ، فقال : « خلّوا سبيلها فإنّها مأمورة » لناقته ، فخلّوا سبيلها ، فانطلقت ، فمرّت بدار الحارث بن الخزرج ، فاعترضه سعد بن الربيع وخارجة بن زيد وعبد اللّه بن رواحة في رجال من بني الحارث بن الخزرج ، فقالوا : « يا رسول الله ! هَلُمَّ إلينا إلى العَدَد والعُدَّة والمَنْعة » ، فقال : « خلّوا سبيلها فإنّها مأمورة »[2] ، يريد : خلّوا سبيل ناقته .

وفي المدينة آخى النبيّ ﷺ بين عبد اللّه بن رواحة

---

(١) سيرة ابن هشام (٢ / ٦٧) وأنساب الأشراف (١ / ٢٤٤) والدرر (٧٥) وجوامع السيرة (٧٦) والمحبر (٢٦٩) .

(٢) سيرة ابن هشام (٢ / ١١٢) والدرر (٩٣) وجوامع السيرة (٩٤) .

والمقداد بن عمرو[1] ، فأصبح ابن رواحة أحد أفراد المجتمع الاسلامي الجديد في المدينة المنّورة ، قاعدة المسلمين الرئيسة الأولى .

في الجهاد

١ - مع النبي صلّى الله عليه وسلّم

(أ) في غزوة بدر الكبرى ، خرج عُتْبَة بن ربيعة بين أخيه شَيْبَة بن ربيعة وابنه الوليد بن عُتْبَة ، ودعوا إلى المبارزة ، فخرج إليهم فتية من الأنصار ثلاثة ، وهم عَوْف ومعوّذ ابنا عَفْراء ، وعبد الله بن رواحة ، فقالوا : لستُم لنا بأكْفاء » . وأبوا إلاّ قومهم وخرج إليهم حمزة بن عبد المطلب وعُبَيْدة بن الحارث ، وعليّ بن أبي طالب ، فبارز عُبَيْدة وكان أسنّ القوم عُتْبَة بن ربيعة ، وبارز حمزةُ شَيْبَة بن ربيعة ، وبارز عليُّ الوليدَ بن عتبة ، وأما حمزة فلم يُمهل شيبة أن قتله ، وأما عليّ فلم يُمهل الوليد أن قتله ، وأما عبيدة وعتبة فقد اختلفا ضربتين ، كلاهما جرح صاحبه ، فكّر حمزة

---

(١) الدرر (٩٩) .

وعليّ بأسيافهما على عُتْبَة ، فقتلاه واحتملا عُبَيْدة إلى أصحابه[1] .

ولما انتصر المسلمون على المشركين في غزوة بدر الكبرى ، بعث النبيُّ ﷺ عبد اللّه بن رواحة بشيراً بالنّصْر إلى أهل (العالية)[2] ، وبعث زيد بن حارثة الكَلْبي إلى أهل (السّافلة)[3] ، فجعل عبد اللّه ينادي على راحلته : « يا معشَر الأنصار ! أبشروا بسلامة رسول الله ﷺ ، وقَتْل المشركين وأسرِهم ! قُتل ابنا ربيعة ، وابنا الحجّاج ، وأبو جَهْل ، وقتل زَمْعَة بن الأسود ، وأُمية بن خلف ، وأُسر سُهَيْل بن عمرو ذو الأنياب في أسرى كثيرة » ، قال عاصم بن عَدِيّ : « فقمت إليه ، فنحوته ، فقلت : أحقّاً ما تقول ؟ قال : إي واللّه ، وغداً يقدُم

---

(1) سيرة ابن هشام (٢ / ٢٦٥) والدرر (١١٤) وجوامع السيرة (١١٢ - ١١٣) .

(2) العالية اسم لكل ما كان من جهة نجد من المدينة من قراها وعمايرها إلى تهامة فهي العالية ، وما كان دون ذلك من جهة تهامة فهي السافلة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٦ / ١٠٠ - ١٠١) .

(3) انظر المادة (٢) في الهامش أعلاه ، وانظر سيرة ابن هشام (٢ / ٢٨٤ - ٢٨٥) .

رسول الله ﷺ إن شاء الله ومعه الأسرى مقرّنين » ، ثمّ اتّبع دور الأنصار بالعالية - العالية بنو عمرو بن عوف وخَطْمَة ووائل ، منازلهم بها - فبشّرهم داراً داراً ، والصبيان يشتّدون معه[1] .

وكانت غزوة بدر الكبرى في شهر رمضان من السنة الثانية الهجرية[2] .

(ب) وشهد عبد الله بن رواحة غزوة (أُحُد)[3] ، فلما استُشهِدَ حمزة بن عبد المطلب عمّ النبيّ ﷺ وعاد النبيّ أدراجه مع المسلمين إلى أهله ، ساق عبد الله بن رواحة نساء بني الحارث بن الخزرج إلى قرب دار النبيّ ﷺ ، فنَدَبْنَ حمزة مع نساء الأنصار ، فأمر النبيّ ﷺ أن يَعُدْنَ إلى منازلهن بعد أن دعا لهنّ ونهاهنّ الغد عن النّوح أشدّ النّهي[4] .

---

(١) مغازي الواقدي (١ / ١١٤ - ١١٥) .
(٢) ابن الأثير (٢ / ١١٦) وتاريخ خليفة بن خياط (١ / ١٥) والعبر (١ /٢) .
(٣) طبقات ابن سعد (٣ / ٥٢٦) .
(٤) مغازي الواقدي (١ / ٣١٧) .

وكـانت غـزوة (أُحُـد) في شهـر شـوّال من السنـة الثالثة الهجريّة[1] .

(ج) وفي غـزوة بدر الآخـرة التي كانت في شهـر شعبـان[2] من السنة الـرابعـة الهجـريـة ، استُخلف عبـد اللّه بن رواحة على المدينة[3] ، فأقـام النّبي ﷺ على ماء (بَدْر) ثمانية أيام ، ولكنّ أبا سفيان بن حـرب لم يحضر مـع قريش لقتـال المسلمين كما وعـد ، فعاد المسلمـون إلى المدينة دون أن يلقوا كيداً[4] .

(د) وفي غـزوة الخَنْـدَق ، وهـي غـزوة الأحـزاب التي كـانت في شهر شـوال من سنة خمس الهجـرية[5] ، انضمّت يهود بني قُرَيْظَة إلى الأحزاب ونقضت عهـدها ، فلمـا علم النبيّ ﷺ بـانتقـاض قُـرَيْـظَة ، بعث سعـد بن مُعَاذ بن النُّعمان وهو يومئذ سيِّد الأوس ، وسعـد بن عُبَادة

---

(۱) تارخ خليفة بن خياط (۱ / ٢٦) والعبر(۱ / ٥) .
(٢) سيرة ابن هشام (٣ / ٢٢١) .
(٣) مغازي الواقدي (١ / ٣٨٤) .
(٤) سيرة ابن هشام (٣ / ٢٢١ ـ ٢٢٢) .
(٥) سيرة ابن هشام (٣ / ٢٢٩) .

ابن دُلَيْم أحد بني ساعدة بن كَعب بن الخزرج وهو يومئذٍ سيِّد الخزرج ، ومعهما عبد اللّه بن رَواحة وخوات بن جُبَير أخو بني عمرو بن عوف ، فقال : « انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا من هؤلاء القوم أم لا ، فإن كان حقّاً ، فالحنوا لي لحناً أعرفه[1] ، ولا تَفُتُّوا في أعضاد الناس[2] ، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم ، فاجهروا به للناس » . وخرجوا حتى أتوهم ، فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم ، فأقبلوا إلى رسول الله ﷺ ، فسلّموا عليه ثمّ قالوا : عَضَلٌ والقَارة ، أي كغدر عَضَل والقارة بأصحاب الرَّجِيْع : خُبَيْب وأصحابه ، فقال رسول الله ﷺ : « الله أكبر ، أبشروا يا معشر المسلمين »[3] .

وانتهى الخبر حول نقض بني قريظة العهد ، فاشتدّ

---

(١) فالحنوا لي لحناً : اللحن : أن يخالف ظاهر الكلام معناه ، قال الشاعر :

ولقد لحنت لكم لكيما تفهموا ... واللحن يفهمه ذوو الألباب

(٢) يقال فت في عضده : إذا ضعفه وأوهنه .

(٣) سيرة ابن هشام (٣ / ٢٣٧ ـ ٢٣٨) وانظر مغازي الواقدي (٢ / ٤٤١) .

الخوف وعظم البلاء[1] .

وبعثت عَمْرَة بنت رواحة ابنتها بحفنَة تمر عَجْوَة في ثوبها وكان المسلمون قد أصابتهم مجاعة شديدة ، وكان أهلوهم يبعثون إليهم بما قدروا عليه . وقالت عَمْرَة لابنتها : « يا بُنَيَّة ! إذهبي إلى أبيك بشير بن سعد ، وخالك عبد الله بن رواحة . بغدائهما » ، فانطلقت الجارية حتى أتت الخندق ، فوجدت رسول الله ﷺ جالساً في أصحابه، فقال: « تعالي يا بُنَيَّة ، ما هذا معك ؟ » ، فقالت : بعثتني أميٍّ إلى أبي وخالي بغدائهما » ، فقال رسول الله ﷺ : « هاتيه » ، ثم أمر بثوب فبسُط له ، وجاء بالتّمر فنثره عليه فوق الثّوب ، ونادى أهل الخندق للغداء ، فاجتمعوا عليه يأكلون منه[2] .

٢ ـ قائد السريّة

كانت هذه السرية في شوال سنة ست الهجرية إلى

(١) مغازي الواقدي (٢ / ٤٥٩) والدرر (١٨٣) وجوامع السيرة (١٨٨) .
(٢) مغازي الواقدي (٢ / ٤٧٦) .

أُسَيْر بن رازم اليهودي ، فلما قُتل سَلاَّم بن أبي الحُقَيْق اليهودي ، أمّرت يهود عليهم ابن رازِم ، فسار في غَطَفَان وغيرهم يجمعهم لحرب رسول الله ﷺ . وبلغ ذلك رسول الله ﷺ فوجّه ثلاثة نفر في شهر رمضان سرّاً ، فسأل عن خبره وغِرّته ، فأخبر بذلك . وقدم على رسول الله ﷺ فأخبره الخبر ، فندب رسول الله ﷺ الناس ، فانتدب له ثلاثون رجلاً ، فبعث عليهم عبد اللّه بن رواحة .

وقدموا على أسير فقالوا : « نحن آمِنون حتى نعرض عليك ما جئنا له ؟ » قال : « « نعم ، ولي منكم مثل ذلك ؟ » ، فقالوا : « نعم » .

وقالوا لأسير : « إنّ رسول الله ﷺ ، بعثنا إليك لتخرج إليه ، فيستعملك على خَيْبَر ويُحسِن إليك » ، فطمع في ذلك ، وخرج معه ثلاثون رجلاً من يهود ، مع كل رجل رديف من المسلمين . حتى إذا كانوا بـ (قَرْقَرة ثِبار)[1] ، ندم أسير ، وفكر بالخيانة . قال عبد

(١) قرقرة ثبار : موضع على ستة أميال من خيبر باتجاه المدينة ، انظر معجم البلدان (٣ / ٥) .

اللّه بـن أُنَيْس ـ وكـان في الســريّـة : « وأهـوى بيـده إلى سيفي ، ففطنت له ، ودفعت بعيري ، وقلت : غدراً أيْ عدوَّ الله ! فعل ذلك مرتين ، فنـزلت فَسُقْتُ بالقـوم حتى انفـرد لي أُسير ، فضـربته بـالسيف فأنـدرتُ عامـة فَخِذِه وساقِه وسقط عن بعيـره ، وبيده مِخْـرَش[1] من شَوْحَط[2] فضربني فشجَّني ، وملنا على أصحابه فقتلناهم كلّهم غير رجـل واحـد أعجـزنـا شــدّاً ، ولم يُصَبْ من المسلمين أحـدٌ . ثم أقبلنا إلى رسـول الله ﷺ فحدّثنـاه الحديث ، فقال : « نجّاكم الله من القوم الظالمين »[3] .

وهكـذا أدّى عبد اللّه بن رواحـة واجبه على أحسن الوجوه ، دون أن يتكبّد المسلمون خسائر مـادّية بـالأرواح والمواد .

---

(١) المخرشة : عصا معوجة الرأس كالصولجان .

(٢) شوحط : ضرب من شجر جبل السراة تتخذ منه القسي . واحدته : شوحطة .

(٣) طبقـات ابن سعـد (٢ / ٩٢ ـ ٩٣) ومغـازي الـواقـدي (٢ / ٥٦٦ ـ ٥٦٨) وسيرة ابن هشام (٤ / ٢٩٢ ـ ٢٩٣) وعيـون الأثر (٢ / ١١١) . وأنساب الأشراف (١ / ٣٧٨) .

٣ ـ قبل سريّة مُوتَة[١]

(أ) شهد عبد اللّه بن رواحة بعد عودته من سريته إلى خَيْبَر ، غزوة الحُدَيْبِيَة[٢] وغزوة خَيْبَر ، وفي الطريق إلى خيبر ، قال النبيّ ﷺ لعبد اللّه بن رواحة : « ألا تُحَرِّك بنا الرِّكْب ؟ » ، فنزل عبداللّه عن راحلته وقال :

والله لولا أنتَ ما اهتَدَينا ... ولا تَصَدَّقْنا ولا صَلَّيْنَا

فأنْزِلَنْ سَكِيْنَةً علينا ... وثبِّتِ الأقدامَ إنْ لاقَينا

والمشركون قد بغوا علينا

فقال رسول الله ﷺ : « اللهمَّ ارحمْهُ » ، فقال عمر ابن الخطّاب رضي الله عنه : « وَجَبَتَ يا رسول الله ! » ، فقُتل يوم مُؤْتَة شهيداً[٣] .

---

(١) مؤتة : قرية من قرى البلقاء في حدود الشام على اثني عشر ميلا من أذرح ، انظر معجم البلدان (٨ / ١٩٠) .

(٢) طبقات ابن سعد (٣ / ٥٢٦) .

(٣) مغازي الواقدي (٢ / ٦٣٩) وانظر طبقات ابن سعد (٣ / ٥٢٦) .

ولما قسم النبيّ ﷺ أرض خيبر على المسلمين ، تسلّم عبد الله سهم بني الحارث بن الخزرج ، إذ كان لكلّ مائة رأس ، منهم رأس يُعْرَف ، يَقْسم على أصحابه ما خرج من غلّتها ، وكان رأس بني الحارث بن الخزرج عبد الله بن رواحة(١) .

وكان رسول الله ﷺ يبعث ابن رواحة إلى أهل خيبر خَارِصاً(٢) بين المسلمين ويهود ، فَيَخْرِص عليهم ، فاذا قالوا : تَعَدَّيتَ علينا ، قال : « إن شئتم فلنا ، وإن شئتم فلكم » ، فتقول يهود : « بهذا قامت السموات والأرض » ، وإنما خرص عليهم ابن رواحة عاماً واحداً ، ثم أُصيب بمؤتة(٣) .

ب ـ وشهد عُمْرَة القضاء(٤) ، التي كانت في شهر

---

(١) مغازي الواقدي (٢ / ٦٨٩ ـ ٦٩٠) و (٢ / ٧١٨) .
(٢) الخارص : الذي يقدر التمر وهو على النخيل قبل أن ينضج ، والخرص هنا هو التقدير .
(٣) سيرة ابن هشام (٣ / ٤٠٩) وانظر مغازي الواقدي (٢ / ٦٩١) .
(٤) طبقات ابن سعد (٣ / ٥٢٦) .

ذي القعدة من سنة سبع الهجريّة(١) ، وحين دخل رسول الله ﷺ مكّة في تلك العُمْرَة ، دخلها وعبد الله بن رواحة آخذ بخطام ناقته يقول :

خَلُّوا بَنِي الكُفَّارِ عن سَبِيْلِهِ
خَلُّوا فكلُّ الخَيْرِ في رسوله(٢)
يا ربِّ إنّي مُؤْمِنٌ بِقِيْلِهِ
أعرفُ حَقَّ الله في قَبُولِه(٣)
نَحْنُ قَتَلْنَاكُمْ على تأويله
كما قتلناكم على تنزيله
ضَرْباً يزيلُ الهامَ عن مقِيلِهِ
وَيُذْهِلُ الخليلَ عن خليْلِه(٤)

فقال عمر بن الخطّاب : « يا ابن رواحة ! حرم

(١) تاريخ خليفة بن خياط (١ / ٤٨) والعبر (١ / ٨) .
(٢) سبيله : طريقه التي انتهجها له الله تعالى .
(٣) قيله : القيل بكسر القاف ، والقول بفتح وسكون ، والقال بالفتح وقلب الواو ألفاً ، كل ذلك عند جماعة من أهل اللغة بمعنى واحد ، ويقال : القول هو المصدر ، والقيل الاسم .
(٤) الهام : جمع هامة ، والمراد هنا الرأس ، ومقيل الهام الأعناق . ويذهل : يشغل ، انظر سيرة ابن هشام (٣ / ٤٢٥) .

الله ، وبين يدي رسول الله ﷺ ، وتقول هذا الشعر ؟ ! » ، فقال النبيّ ﷺ : « خَلِّ عنه يا عمر ! فوالذي نفسي بيده لكلامه أشدّ عليهم من وقع النّبل »(١) .

لقد كان مع النبيّ ﷺ في غزواته كافة ، وكان أثره واضحاً فيها .

٤ ـ في سَرِيَّة مُؤْتَة

بعث النبيّ ﷺ في جمادى الأولى من سنة ثمانٍ الهجرية بعثه إلى الشّام في ثلاثة آلاف مجاهد ، واستعمل عليهم زيد بن حارثة وقال : « إن أُصيبَ زيدٌ فجعفر بن أبي طالب على الناس ، فان أُصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس » ، فتجهز الناس ثم تهيّأوا للخروج .

ولما أكملت السرية استحضاراتها للحركة ، ودّع النّاس أمراء رسول الله ﷺ وسلّموا عليهم ، فلما وُدع

---

(١) الاصابة (٤ / ٦٧) وانظر مغازي الواقدي (٣ / ٧٣٦) وطبقات ابن سعد (٣ / ٥٢٧) .

عبد الله بن رواحة مع مَنْ وُدِّع من أمراء رسول الله ﷺ بكى ، فقالوا : ما يبكيك يا ابن رواحة ؟ فقال : أما والله ما بي حب الدنيا ولا صبابة بكم ، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية في كتاب الله عزّ وجلّ يذكر فيها النار : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُها ، كانَ على ربِّك حَتْماً مَقْضِيّاً ﴾[1] ، فلست أدري كيف لي بالصُّدور بعد الوُرود . ، فقال المسلمون : صحبكم الله ، ودفع عنكم ، وردَّكم إلينا صالحين . فقال عبد الله بن رواحة :

لكنّني أسألُ الرحمنَ مغفرةً
وَضَرْبَةً ذاتَ فَرْغٍ تَقْذِفُ الزَّبَدا[2]
أو طعنةً بِيَدَيْ حَرَّانَ مُجْهَزَةً
بِحَرْبَةٍ تُنْفِذُ الأحشاءَ والكَبِدا[3]

(١) الآية الكريمة من سورة مريم (١٩ : ٧١) .
(٢) ذات الفرغ يريد واسعة . والزبد أصله ما يعلو الماء ، وأراد هنا ما يعلو الدم الذي ينفجر من الطعنة .
(٣) مجهزة : سريعة القتل : أجهز على الجريح ، إذا أسرع في قتله وتنفذ الأحشا : تخرقها وتصل إليها .

حــتى يُــقــالَ إذا مَــرّوا عــلى جَــدثــي
أرْشَــدَهُ الله مــن غــازٍ وقــد رَشَــدا[1]

وخــرج القــوم ، وخــرج رســول الله ﷺ يشيِّعهم ، حتى إذا ودّعهم وانصرف ، قال عبد الله بن رواحة :

خَــلَفَ الــسّــلامُ عــلى امْــرِىءٍ وَدَّعْــتُــهُ
فــي الــنّــخــلِ خيْــرِ مُــشَــيِّــعٍ وخَــلِيْــلِ

ثم مضوا حتى نزلوا (مُعَان)[2] من أرض الشّام ، فبلغ الناسَ أنّ هِرَقْل ملك الروم قد نزل (مَآب)[3] من أرض (البَلْقَاء)[4] في مائة ألفٍ من الروم ، وانضمّ إليهم من لَخْمٍ وجُذام وبَلْقَيْن وبَهْراء وبَلِيّ مائة ألف

(١) الجدث بفتح الجيم والدال المهملة وآخره ثاء مثلثة : القبر .
(٢) معان : بلد في طرف بادية الشام تلقاه الحجاز من نواحي البلقاء ، انظر معجم البلدان (٨ / ٩٣) ، وهي مدينة أردنية في الوقت الحاضر .
(٣) مآب : مدينة في طرف الشام من نواحي البلقاء ، انظر معجم البلدان (٧ / ٣٤٩) .
(٤) البلقاء : كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى ، قصبتها عمان ، فيها قرى كثيرة ومزارع واسعة ، انظر معجم البلدان (٢ / ٢٧٦ - ٢٧٧) .

منهم ، عليهم رجل من بَلِيّ ثم من أحد إرَاشَة يقال له : مالك بن زافلة ، فلما بلغ ذلك المسلمين ، أقاموا على مُعَان ليلتين يفكّرون في أمرهم ، وقالوا : نكتب إلى رسول الله ﷺ ، ونخبر به بعَدَد عدوِّنا ، فاما أن يمدَّنا بالرجال ، وإما أن يأمرنا بأمره فَنَمْضِيَ » ، فشجّع الناسَ عبد اللّه بن رواحة ، وقال : « ياقوم ! والله إنّ التي تكرهونَ للتي خرجتم تطلبون : الشّهادة . وما نقاتل الناسَ بعَدَد ولا قُوّة ولا كثرة ، ولا نقاتلهم إلاّ بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ، فانطلقوا ، فإنما هي إحدى الحُسنَيْينِ : إما ظهور ، وإما شهادة » ، فقال الناس : « قد والله صَدَقَ ابنُ رواحة » ، فمضى الناس ، فقال عبد اللّه بن رواحة في مَحْبَسِهم ذلك :

جَلَبْنَا الخيلَ من أجأ وفَرْعٍ
تُغَرّ من الحشيشِ لها العُكُومُ[1]

---

(١) اجأ ـ بفتح الهمزة والجيم وآخره همزة : أحد جبلي طيء والآخرة سلمى . وفرع ، يروى بالعين المهملة وبالغين المعجمة : اسم موضع . وتغر : تطعم شيئاً بعد شيء ، تقول : غررت الطائر : إذا أطعمته . والعكوم : الجنوب وفي رواية : جلبنا الخيل من آجام قرح . وقرح : اسم موضع أيضاً .

حَـذَوْنـاهُـمْ مِـن الـصَّـوَّان سِـبْـتـاً
أَزَلَّ كـأنَّ صَـفْـحَـتِـهُ أَدِيْـمُ[1]

أقـامـتْ لـيـلـتـيـن عـلـى مُـعَـانٍ
فـأعْـقِـبَ بـعـد فَـتْـرَتِـهَـا جُـمُـومُ[2]

فَـرُحْـنَـا والـجِـيَـادُ مُـسَـوَّمـاتٌ
تَـنَـفَّس فـي مـنـاخـرهـا الـسَّـمـومُ[3]

فـلا وأبـي (مَـآبَ) لآتِـيـنْـهَـا
وإنْ كـانـت بـهـا عَـرَبٌ ورومُ

فَـعَـبّـأنـا أعـنَّـتَـهـا فـجـاءتْ
عـوابِسَ والـغُـبَـارُ لـهـا بَـرِيْـمُ[4]

---

(١) حذوناهم : أي جعلنا لها حذاء ، والحذاء : النعل . والصوان والحجارة الملس ، واحدتها صوانة والسبت بكسر السين : النعال التي تصنع من الجلد المدبوغ ، وأزل : املس ظاهر الصفحة . والأديم : الجلد .

(٢) الجموم : استراحة الفرس ، وأراد هنا استعداده ونشاطه .

(٣) مسومات : مرسلات ، أو معلمات . والسموم : الريح الحارة .

(٤) بريم : هو في الأصل خيط تنظمه المرأة ثم تشده على وسطها ، وأراد ههنا الحزام .

بـذي لَـجَبٍ كـأنَّ الـبِـيْضَ فـيـه
إذا بَـرَزَتْ قَـوانِـسُـهـا الـنـجـوم(١)
فَـرَاضِـيَـةُ الـمْعِـيْشَـةِ طَـلَّقْـتُـهَـا
أسِـنَّـتُـهـا فَـتَـنْـكِـحُ أو تَـئِـيْـمُ(٢)

ومضى الناس قُدُماً إلى هدفهم ، وكان زيد بن أرقم يتيماً لعبد الله بن رواحة في حِجْرِهِ ، فخرج به في سفره ذلك وقد أردفه على حقيبة(٣) رَحْلِهِ ، فسمعه ينشد في ليلة من اللّيالي هذه الأبيات :

إذا أدَّيْـتـنـي وحَـمَـلْـتِ رَحْـلِي
مَـسِـيْـرَةَ أربـعٍ بـعـد الـحِـسَـاء(٤)
فَـشَـأنُـكِ أنْـعُـمٌ وخَـلاكِ ذَمٌّ
ولا أَرْجِـعْ إلـى أهْـلِي ورائـي(٥)

---

(١) بذي لجب ، اللجب : كثرة الأصوات واختلاطها ، وذو اللجب : الجيش . والقوانس : جمع قونس ، وهو أعلى البيضة . والنجوم : خبر كأن ، وجملة الشرط وجواب المحذوف معترضة .

(٢) تئيم : تبقى بغير زوج .

(٣) الحقيبة : ما يجعله الراكب وراءه إذا ركب .

(٤) أصل الحساء جمع حسي ، والحسي : ماء يغور في الرمل ، فإذا بحثت عنه وجدته .

(٥) ولا أرجع : جزم هذا الفعل على الدعاء ، يدعو على نفسه بأن

وجـاء الـمـسـلـمـون وغَـادَرُوْنـي
بـأرضِ الـشّـامِ مُـشْـتَهِـيَ الثّـواءِ[1]
وردَّك كُـلُّ ذي نَـسَـبٍ قَـرِيْـبٍ
إلـى الـرحـمـنِ مُـنْـقَـطِعَ الإخَـاء
هـنـالـك لا أُبـالـي طَـلْعَ بَـعْـلٍ
ولا نَـخْـلٍ أسـافِـلُهـا رِواءُ[2]

فمـا سمعهـا زيـد بن أرقم حتى بكى ، فخفقـه[3] عبد الله بن رواحة بالدرّة وقال : « ما عليك يا لُكَـعْ[4] أن يرزقني الله شهادة ، وترجع بين شُعْبتي الرَّحْل ؟ »[5] .

وقال زيد بن أرقم : « قـال عبد الله بن رواحـة في سفره ذلك وهو يرتجز » :

= يستشهد في هذه السرية ولا يرجع إلى أهله .

(١) الثواء بفتح الثاء المثلثة : الاقامة ، وتقـول : ثوى المكـان يثوي ـ من باب ضرب ـ إذا أقام .

(٢) البعل : الذي يشرب بعروقه من الأرض ، والعذى : الـذي يشرب من مـاء السماء ، وقـوله : أسـافلها رواء : أظهـر ما فيـه أنه مبتـدأ وخبر ، ففي هذا البيت الاقواء ، وهو اختلاف حركة الروى .

(٣) خفقني : ضربني . والدرة : العصا .

(٤) لكع : اللئيم .

(٥) شعبتا الرحل : طرفاه المقدم والمؤخر .

يا زَيْدُ زَيْدُ اليَعْمَلاتِ الذُّبَّلِ
تَطَاوَلَ اللَّيْلُ هُدِيتَ فانْزِلِ[1]

ومضى النّاس ، حتى إذا كانوا بتُخوم[2] البَلْقاء ، ثمّ دنا العدو ، وانحاز المسلمون إلى برية مُؤْتَة ، فالتقى الناس عندها .

وتعبأ لهم المسلمون ، فجعلوا على ميمنتهم رجلاً من بني عُذْرَة يقال له : قُطْبَة بن قَتَادَة ، وعلى مَيْسَرتهم رجلاً من الأنصار يقال له : عبَادَة بن مالك .

والتقى الناس ، ونشب القتال بين الجانبين ، فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله ﷺ ، حتى شاطَ في رماح القوم[3] .

وأخذ الراية جعفر بن أبي طالب ، فقاتل بها حتى

---

(١) اليعملات : جمع يعملة ، وهي الناقة السريعة . والذبل : التي أضعفها السير فقل لحمها .
(٢) تخوم : حدود الأرضين التي تقع بين أرض وأرض ، ويقال بفتح التاء أو ضمها .
(٣) شاط في رماح القوم : أي هلك ، تقول : شاط الرجل ، إذا سال دمه فهلك .

إذا أَلْحَمَه القتال اقتحم عن فرس[1] له شقراء، فعقرها، ثمّ قاتل القوم حتى قُتِل، فكان جعفر أوّل رجل من المسلمين عَقَر في الاسلام .

وكان جعفر يردِّد حين كان يقاتل :

يا حبّذا الجَنَّةُ واقترابُها
طيِّبةً وبارداً شرابُها
والرُّوم رُومٌ قد دنا عذابُها
كافِرَةٌ بعيدةٌ أنسابُها
عَليَّ إذ لاقيتُها ضِرَابُها

وأخذ جعفر اللِّواء بيمينه، فقطعت، فأخذه بشماله، فقطعت، فاحتضنهُ بعَضُدَيه[2] حتى قتل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، ويقال : إنّ رجلًا من الروم ضربه يومئذ ضربة فقطعه[3] نصفين .

---

(١) اقتحم عن فرس له : أي رمى بنفسه عنها، يريد أنه كان فارساً فترجل .

(٢) احتضنه : أخذه في حضنه، وحضن الرجل : ما تحت العضد إلى أسفل .

(٣) فقطعه : يروى في مكانه فقطعه ـ بتشديد الطاء، وقطعه بمعنى واحد .

وأخـذ الرّايـة عبد الله بن رواحـة ، فتقدّم بهـا وهو على فرسه ، فجعل يستنزل نفسـه ويتردّد بعض التـردّد ، ثم قال :

أقْـسَـمْـتُ يـا نَـفْسُ لَـتَـنْـزِلِـنّـه
لَـتَـنْـزِلِـنَّ أو لَـتُـكْـرَهِـنّـهْ
إنْ أجْـلَبَ الـنّـاسُ وشَـدُّوا الـرَّنّـهْ
مـالـي أراكِ تَـكْـرَهْـيِـنَ الـجَـنّـه[1]
قـد طَـالَـمـا قـد كُـنْـتِ مُـطْمَئِـنّـهْ
هَـلْ أنـتِ إلاّ نُـطْفَـةٌ فـي شَـنّـهْ[2]

وقال أيضاً :

يـا نـفْسُ إلاّ تُـقْـتَـلِيْ تَـمُـوتـي
هـذا حَـمِـامُ الـموتِ قـد صَـلِيْـتِ
ومـا تَـمَـنّـيْـتِ فـقـد أُعْـطِيْـتِ
إنْ تَـفْـعَـلي فـعْـلَهُـما هُـدِيْـتِ

---

(١) أجلب الناس : صاحوا واجتمعوا . والرنة : صوت فيه ترجيع يشبه البكاء .

(٢) النطفة : الماء القليل الصافي . والشنة : القربة القديمة .

يريد : صاحبيه زيداً وجعفراً ، ثمّ نزل .

وأتاه ابن عَمّ له بِعَـرْقٍ[1] من لحم ، فقال : « شُـدَّ بهذا صُلْبَكَ ، فانّك قد لقيت في أيامك هذه ما لقيت » ، فـأخـذه من يـده ، ثمّ انْتَهَس[2] منـه نَهْسَـةً ، ثمّ سمـع الحَـطَمَـة[3] في نـاحيـة النـاس ، فقـال : « وانتِ في الدنيا !! » ، ثمّ أخذ سيفه وتقدّم ، فقاتل حتى قُتِلَ .

ثمّ أخـذ الرايـة ثابت بن أَرْقَم أخـو بني العَجْلان ، فقـال : « يـا معشـر المسلمين ! اصـطَلِحُـوا على رجـلٍ منكم » ، قالوا : « أنت ! » ، قـال : « ما أنـا بفاعـل » ، فاصطلح الناس على خالد بن الوليـد ، فلما أخـذ الرَّايـة دافعَ القومَ وحاشى بهم[4] ، ثم انحاز وانحيز عنه ، حتى انصرف بالناس ، وأقْبَلَ بهم قافلاً .

فلما دنوا من حول المدينة ، تلقاهم رسول الله ﷺ

---

(١) العرق : العظم الذي عليه بعض اللحم .

(٢) انتهس : أخذ بفمه منه يسيراً .

(٣) الحطمة : الكسرة .

(٤) قيـل : هو بـالحـاء المهملة من المحـاشـاة ، وقيـل : هـو بالخاء المعجمـة ، وأصله الخشيـة ، أي أن فعله معهم كـأنـه فعـل من يخشى .

والمسلمـون ، ولقيهم الصبيان يشتـدّون ورسـول الله ﷺ مقبـل مـع القـوم على دابّـة ، فقـال : « خـذوا الصبيـان فـاحملوهم وأعـطوني ابن جعفـر » ، فـأتي بعبـد الله ، فـأخـذه فحمله بين يـديـه . وجعـل النـاس يَحْثُـون على الجيش التـراب ويقـولـون : يـا فُـرَّار ! فَـرَرْتُمْ في سبيـل الله !! فيقـول رسول الله ﷺ : لَيْسُـوا بـالفُـرار ، ولكنهم الكُرّار إن شاء الله تعالى »[1] .

وأخيراً استراح الراحة الأبـدية مَنْ كـان لا يَستريـح ولا يُريح ، يجـاهد بلسـانه ويـده وسيفه ، وظـلّ يجاهـد حتى اللّحظات الأخيرة من حياته ، وهو يحمل لواء رسول الله ﷺ ويستقتل دفاعـاً عنه وعن مُثله العليـا ، فسقط ابن رواحة شهيداً مضرجاً بـدمائـه ، دون أن يسقط لواء النبيّ

(١) انظر التفاصيل في : سيرة ابن هشام (٣ / ٤٢٧ ـ ٤٤٧) ومغازي الـواقـدي (٢ / ٧٥٥ ـ ٧٦٩) وجـوامـع السيـرة (٢٢٠ ـ ٢٢٢) وطبقـات ابن سعـد (٢ / ١٢٨ ـ ١٣٠) والـدرر (٢٢ / ـ ٢٢٣) وأنسـاب الأشـراف (١ / ٣٨٠) والـبـدايـة والـنـهـايـة (٤ / ٢٤١ ـ ٢٥٣) والبخـاري (٣ / ١٤٣) والـطـبـري (٣ / ٣٦ ـ ٤٢) وابن الأثيـر (٢ / ٢٣٤ ـ ٢٣٨) وعيـون الأثـر (٢ / ١٥٣ ـ ١٥٦) ونهاية الأرب (١٧ / ٢٧٧ ـ ٢٨٣) .

ﷺ ، فقد تلقّفه مجاهد جديد يسعى إلى الشّهادة دونه ، فضحّى ابن رواحة بروحه من أجل دينه ، ومات الذين حرصوا على الحياة ، كما مات ابن رواحة ، ولكن شتان بين الميتتين .

الانسان

١ - الشّاعر

كان عبد الله بن رواحة أحد شعراء النبيّ ﷺ الذين يذبّون عن الاسلام بألسنتهم : كعب بن مالك السلمي ، وعبد الله بن رواحة ، وحسّان بن ثابت من بني النّجار ، وكلّهم من الخزرج من الأنصار[١] ، وكان من شعراء الصحابة المشهورين[٢] .

وقد كان النبيّ ﷺ يوم الخندق ينقل التراب ، حتى وارى التراب شعر صدره ، وهو يرتجز برجز ابن رواحة .

تا الله لولا الله ما اهتدينا
ولا تصدّقنا ولا صلّينا

---

(١) جوامع السيرة (٢٨) .
(٢) البداية والنهاية (٤ / ٢٥٨) .

فأنزلَنْ سكينةً علينا

وثَبِّتِ الأقدام إن لاقينا

إن الأولى لقد بغوا علينا

وإن أرادوا فتنةً أبينا(1)

وروى هشام بن عروة عن أبيه قال : « سمعت أبي يقول : ما سمعت أحداً أجْرَأ ولا أسرع شعراً من عبد الله بن رواحة ، سمعت رسول الله ﷺ يقول له يوماً : قُلْ شعراً تقتضيه السّاعة وأنا أنظر إليك ، فانبعث مكانه يقول :

إني تفرّست فيك الخير أعرفُه

والله يعلم أنْ ما خانني البصرُ

أنتَ النبيُّ ومَن يُحرم شفاعتهُ

يومَ الحساب لقد أزْرَى به القَدَرُ

فَثَبّتَ الله ما آتاكَ من حسن

تثبيتَ موسى ونصراً كالذي نُصروا

فقال رسول الله ﷺ : وانت فثبّتكَ اللّهُ يا ابنَ

(1) تهذيب ابن عساكر (٧ / ٣٩٤) .

رواحة » . قال هشام بن عروة : « فثبّته الله عزّ وجل أحسن الثبات ، فقُتل شهيداً وفتحت له الجنّة ، فدخلها » .

وفي رواية ابن هشام :

إني تفرّستُ فيك الخير نافلةً
فراسة خالفت فيك الذي نظروا
أنتَ النبيَّ ومَنْ يُحرم نوافلهُ
والوجْهَ منك ، فقد أزرى به القَدَرُ[1]

وتمام القصيدة هي :

إني توسّمت فيك الخير نافلةً
والله يعلم أنْ ما خانني البصرُ[2]
فثبّتَ الله ما آتاكَ من حَسَنٍ
تثبيتَ موسى ونصراً كالذي نُصِروا
يا آل هاشم إنَّ الله فضّلكم
على البريّةِ فضلاً ما له غِيَرُ

(١) الاستيعاب (٣ / ٩٠١) والاستبصار (١٠٩ - ١١٠) .
(٢) في تهذيب ابن عساكر (٧ / ٣٩٣) « والله يعلم أني ثابت البصر » ، وما أثبتناه في أعلاه أصح ، والسبب واضح .

ولـو سـألـتَ أو استنصـرتَ بـعـضـهـم
فـي حُـلِّ امـرك مـا آووا ولا نـصـروا
فـخـبِّـرونـي أثـمـان الـعَـبـاءِ مـتـى
كـنـتـم بـطـاريـق أو دانـتْ لـكـن مُـضَـرُ
نُجَـالِـدُ النـاسَ عن عـرضٍ فنـأسـرهم
فيـنـا الـنـبـيّ وفـيـنـا تـنـزلُ الـسّـوَرُ
وقـد عـلـمـتـم بـأنّـا لـيس يـغـلـبـنـا
حـيٌ مـن الـنّـاس إن عـزّوا وإن كـثُـروا

وروي أنـه لمـا قـال : فثّبت الله مـا آتـاك مـن حسن » ، قـال لـه الـنبيّ ﷺ : « وإيـاك يـا سيّـد الشعراء »[1] .

وعن أبي هُـرَيرة أنّ رسول الله ﷺ قال : إنّ أخاً لكم لا يقول الرّفث ـ يعني ابن رواحة وذلك لقوله :

وفـيـنـا رسـولُ الله يـتـلـو كـتـابَـه
إذا انـشـق مـعـروف من الـفـجـر سـاطـعُ

(١) تهـذيب ابن عسـاكـر (٧ / ٣٩٥) وانـظر طبقـات ابن سعـد (٣/ ٥٢٨) .

أرانـا الـهـدى بـعـد الـعـمى فـقـلوبـنـا
بـه مـوقـنـات أنّ مـا قـال واقـع
يـبيتُ يُجـافـي جنـبُـه عن فـراشِـه
إذا استثقلت بـالـكـافـرين الـمضـاجـع
وأعـلم عـلمـاً لـيس بـالـظنِّ أنـنـي
إلـى الله مـحـشـورٌ هـنـاك وراجـع[1]

وقال يبكي حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه الذي استُشهد في غزوة أُحُد :

بـكـتْ عَـيِـنْـي وحُـقَّ لـهـا بُـكـاهـا
ومـا يُـغْـنِـي الـبُـكـاءُ ولا الـعَـوِيْـلُ[2]
عـلى سـدِ الالـه غَـداةَ قـالـوا :
أَحـمـزةُ ذاكُـمُ الـرجـل الـقـتـيـلُ
أصـيـب الـمـسـلـمـون بـه جـمـيـعـاً
هـنـاكَ وقـد أُصـيـبَ بـه الـرَّسـولُ
أبـا يَـعْـلَى لَـكَ الأركـانُ هُـدَّتْ
وأنـت الـمـاجِـدُ الـبَـرُّ الـوَصـولُ[3]

(١) تهذيب ابن عساكر (٧ / ٢٩٥) .
(٢) العويل : البكاء مع ارتفاع صوت .
(٣) أبو يعلى : هي كنية حمزة رضي الله عنه ، وكان حمزة يكنى بابنه=

عـليـك سـلامُ ربِّـك فـي جِـنَـانٍ
مُـخَـالِـطهـا نَـعْـيـمٌ لا يَـزُول
ألا يـا هـاشـم الأخـيـار صـبـراً
فـكـلُّ فعَـالـكُـمْ حَـسَـنٌ جـمـيـل
رسـول الله مُـصْـطَـبـرٌ كـريـمٌ
بـأمـر الله يـنـطقُ إذ يـقـول
ألا مَـنْ مُـبْـلِغٌ عـنـي لُـؤيّـاً
فـبـعـدَ الـيـومِ دائـلـةٌ تـدول[1]
وقَـبْـلَ الـيـومِ مـا عَـرَفُـوا وذاقـوا
وقـائـعُـنـا بـهـا يُـشْـفَـى الـغـليـلُ[2]
نَـسِـيْـتُـمْ ضَـرْبَـنَـا بـقَـلِيْـب بَـدْرٍ
غـداةَ أتـاكُـمُ الـموتُ الـعـجـيـل[3]

= يعلى ، ولم يعش لحمزة ولد غيره ، وكان كذلك يكنى : أبا عمارة ، وعمارة بنت له . والماجد : الشريف .

(١) دائلة تدول : يريد دائرة الحرب .

(٢) الغليل : حرارة الجوف من عطش أو حزن .

(٣) العجيل : العاجل السريع .

غداةَ ثَوَى أبو جَهْلٍ صَرِيْعاً
عليه الطَّيْرُ حائمةً تَجُولُ[1]
وَعُتْبَةُ وابنُهُ خَرًّا جميعاً
وشَيْبَة عَضَّهُ السَّيْف الصَّقِيْلُ[2]
ومَتْرَكُنَا أُمَيَّةَ مُجْلَعِبّاً
وفي حَيْزومِهِ لَدْنٌ نَبِيْلُ[3]
وهامَ بني رَبِيْعَةَ سائِلُوهَا
ففي أسيافنا منها فُلولُ
ألا يا هِنْد فابْكَي لا تَمَلِّي
فأنتِ الوالهُ العَبْرى الهَبولُ[4]
ألا يا هِنْدُ لا تُبْدِي شَمَاتاً
بحمزة ، إن عِزَّكُمُ ذليلُ[5]

---

(١) حائمة : تدور حوله ، تقول : حام الطائر حول الماء : إذا دار حوله . وتجول تجيء وتذهب .
(٢) خرا جميعاً : سقطا على الأرض .
(٣) مجلعباً : معناه أنه ممتد مع الأرض . والحيزوم : أسفل الصدر . واللدن : الريح اللين . والنبيل : العظيم .
(٤) الواله : الشديد الحزن ، أو هي الفاقد . والعبرى : الكثيرة الدمع . والهبول : التي فقدت عزيزها .
(٥) سيرة ابن هشام (٣ / ١٤٨ ـ ١٤٩) ، وقال ابن هشام : أنشد فيها=

وقال يبكي نافع بن بُدَيل بن وَرْقاء التي استشهد في سرية بئر معونة :

رَحِمَ اللّهُ نافِعَ بنَ بُدَيْلٍ
رحمةَ المُبْتَغي ثوابَ الجِهادِ
صابِرٌ صادقٌ وفِيٌّ إذا ما
كثُرَ القومُ قالَ قولَ السّدادِ[1]

وقال في بدرٍ الآخرة :

وعَدْنا أبا سُفْيانَ بَدْراً فلم نَجِدْ
لميعاده صِدْقاً وما كانَ وافِيا
فأقْسِمُ لو وافيتَنا فَلَقِيْتَنا
لأبْتَ ذَمِيْماً وافْتَقَدتَ المَوَالِيا[2]

وتركْنَا به أوصالَ عُتْبَة وابنِهِ
وعَمْراً أبا جَهْلٍ تَرَكناهُ ثاوِيا[3]

= أبو زيد الأنصاري لكعب بن مالك » ولكن ابن إسحق نسبها لابن رواحة » .

(١) سيرة ابن هشام (٣ / ١٨٩) .

(٢) افتقدت : فقدت . والموالى جمع مولى ، ولها معان كثيرة ، منها ابن العم ، ومنها الناصر والمعين .

(٣) الثاوي : المقيم ، تقول : ثوى بالمكان يثوى : إذا أقام به .

عَـصَيْـتُـمْ رســولَ الله أفٍ لـــديــنــكُــمُ
وأمــرِكُمُ السَّيىءِ الــذي كــان غــاويــاً[1]

فــانــي وإنْ عَــنَّــفْــتُــونـِـي لــقــائِــلٌ
فِــدىً لــرســولِ الله أهلــي ومــالــيــا[2]

أطَعْنَــاه لــم نَعْـدِلْـهُ فــينــا بــغيــرِهِ
شِهَــابــاً لنــا في ظُلْمَةِ اللَّيْــلِ هــادِيــا[3]

لقد كان شاعراً مجيداً ، حاضـر البديهـة ، يرتجـل الشعر القويّ الرصين ، ويوظِّف شعره في خدمـة الاسلام والمسلمين ، فكان من شعراء الـدّعوة المعـدودين ، ومن أبرز شعراء النبيّ ﷺ والشعراء الاسلاميين .

٢ ـ العالم

كـان ابن رواحـة يكتب في الجـاهليّـة ، وكـانت

---

(١) أف : كلمة تقال عند استقباح الشيء وعند تعذره . وقوله : وأمركم السيء بفتح السين وسكون الياء وأصله بتشديد الياء فخففه ، كما قالوا ، هين ، ولين ، وميت ، وقيل : الأصل في جميعها تشديد الياء .

(٢) عنفتموني : لمتوني .

(٣) قوله ولم نعدله : يريد لم نعدل به ، أي لم نجعله مع غيره .

الكتابة في العرب قليلة[1] كما ذكرنا ، وقد روى عن النبيّ ﷺ أنّه نهى أن يطرق الرجل أهله ليلاً[2] ، وروى عنه أيضاً : « نهانا رسول الله ﷺ أن يقرأ أحدنا القرآن وهو جُنُب »[3] . وقال : « توضأ رسول الله ﷺ ومسح على الموقين (الخُفّين) »[4] .

روى عن النّبي ﷺ وعن بلال المؤذّن ، وروى عنه ابن أخته النُّعمان بن بشير بن سعد وأبو هُرَيرة وابن عَباس وأنس ، وأرسل عنه عبد الرحمن بن أبي ليلى وقيس بن أبي حازم وعُروَة بن الزُّبير وعَطاء بن يَسار وزيد بن أسلم ، وعكرمة وأبو الحسن مولى بني نوفل وأبو سَلَمَة بن عبد الرحمن[5] .

= سواء ، انظر سيرة ابن هشام (٣ / ٢٢٣) .

(١) طبقات ابن سعد (٣ / ٥٢٦) وتهذيب ابن عساكر (٧ / ٣٩٠) .

(٢) انظر مختصر . شرح الجامع الصغير للمناوي (٢ / ٣٤٣) ، حديث صحيح ، وانظر تهذيب ابن عساكر (٧ / ٣٩٠) .

(٣) أسند إليه الحافظ وإلى أسامة بن زيد عن بلال ، انظر تهذيب ابن عساكر (٧ / ٣٩٠) .

(٤) تهذيب ابن عساكر (٧ / ٣٩٠) .

(٥) تهذيب التهذيب (٥ / ٢١٢) وانظر الاستيعاب (٣ / ٨٩٨) .

وحـديثه في البخـاري وسنن النسـائي وسنن ابن مـاجه ، انفـرد له البخـاري بحـديث مـوقـوف[1] ، روى حديثاً واحداً عن النبيّ ﷺ[2] ، وكان من أصحـاب الفُتْيا من الصحـابة عليهم رضـوان الله[3] ، وكـان يكتب للنبيّ ﷺ[4] .

٣ ـ التَقيّ

كـان ابن رواحـة أحـد شعـراء رسـول الله ﷺ المحسنين ، الـذين كـانـوا ينافحـون عن رسـول الله ﷺ ويـردّون الأذى عنه ، وفيـه وفي صاحبيـه حسّان بن ثـابت وكعب بن مـالـك نـزلت : ﴿ إلاّ الـذين آمَنُـوا وعَمِلوا الصَالِحات ، وذَكَـرُوا الله كَثِيْراً ، وانْتَصـروا منْ بَعْـدِ مـا ظُلِمُوا ﴾[5] .

---

(١) خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال(١٩٧) .
(٢) أسماء الصحابة الرواة ـ ملحق بجوامع السيرة(٣١٠) .
(٣) أصحاب الفتيا من الصحابة ـ ملحق بجوامع السيرة (٣٢٢) .
(٤) الاصابة (٤ / ٦٦) .
(٥) الأيـة الكـريمـة من سـورة الشعـراء . (٢٢٦ و ٢٢٧) ، انـظر الاستبصار (١٠٨) والاستيعاب (٣ / ٨٩٨) .

وروي عن أبي الدَّرْداء أنّه قال : « رأيتنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره ، في اليوم الحار الشديد الحر ، حتى انّ الرجل ليضع يده على رأسه من شدّة الحر ، وما في القوم صائم إلاّ رسول الله ﷺ وعبد الله بن رواحة »[1] .

وبكى يوماً ابن رواحة ، فبكت امرأته ، فقال : « ما يبكيك ؟ » ، فقالت : « رأيتك بكيْتُ » ، فقال : « إني قد علمتُ أني وارد النار فلا أدري أخارج منها أم لا »[2] .

وروى أبو هُرَيرة ، أنّ النبيّ ﷺ قال : « نِعْمَ عبد الله بن رواحة » ، وعن عبد الله بن عمر أنّ رسول الله ﷺ قال : « رحم الله ابن رواحة ، كان أينما أدركته الصّلاة نَاخ »[3] .

وكان ابن رواحة ، إذا دخل بيته صلّى ، وإذا خرج صلّى[4] .

---

(١) الاستيعاب (٣ / ٩٠٠) والاستبصار (١١٠)

(٢) الاستبصار (١١٠) .

(٣) تهذيب ابن عساكر (٧ / ٣٩٠) .

(٤) الاستبصار (١١٠) .

وعن أنس بن مالك ، قال : « كنا مع رسول الله ﷺ في سفر ، فأصابنا مطر ورداغ[1] ، فأمرنا رسول الله ﷺ أن نصلّي على ظهور رواحلنا ، ففعلنا . ونزل ابن رواحة ، فصلّى في الأرض ، فسعى به رجل من القوم ، فقال : يا رسول الله ! أمرتَ الناس يصلّون على ظهور رواحلهم ففعلوا ، ونزل ابن رواحة فصلّى في الأرض ، فبعث اليه ، فقال : ليأتينكم وقد لقي حجّته ، فأتاه فقال له : يا ابن رواحة ! أمرتُ النّاس أن يصلّوا على ظهور رواحلهم ، فنزلت فصليت في الأرض فقال : يا رسول الله ! لأنّك تسعى في رقبة قد فكّها الله ، وإنما أنا نزلت لأسعى في رقبة لم تُفَكّ ! فقال رسول الله ﷺ : ألم أقل لكم إنّه سيلقي حُجّته » ، وفي رواية أخرى أنه قال : « يا رسول الله ! أنا لستُ مثلك ، أنت تسعى في عتق ، ونحن نسعى في رق » ، فلم يُعب عليه ما صنع[2] .

وقال أبو الدَّرْدَاء : « أعوذ بالله أن يأتي يوم عليّ لا أذكر فيه عبد الله بن رواحة ، كان إذا لقيتني مقبلاً ضرب

---

(١) رداغ : جمع ردغة . الوحل الكثير .
(٢) تهذيب ابن عساكر (٧ / ٣٩٠ - ٣٩١) .

بين ثـديّ ، وإذا لقيني مـدبـراً ضـرب بين كتفيّ ، ثم يقول : يا عُوَيْمر ! اجلس فلنؤمن ساعة ، فنجلس فنـذكر الله مـا شاء ، ثم يقـول : يـا عـويمـر ! هـذه مجالس الايمان »[٥] .

وكـان عبد الله بن رواحـة إذا لقي الـرجـل من أصحابه يقول : « تعال نؤمن بـربنا سـاعة » ، فقـال ذات يوم لرجل ، فغضب الرجل ، فجاء النّبي ﷺ فقال : « يا رسول الله ! ألا ترى أنّ ابن رواحة يرغب عن إيمانك إلى إيمـان ساعـة » ، فقال رسـول الله ﷺ : « يـرحم الله ابن رواحـة ، إنّـه يحبّ الـمجـالس الـتي تـتبـاهـى بهـا الملائكة »[١] .

وأتى ابن رواحـة النبيّ ﷺ وهو يخـطب ، فسمعـه وهـو يقـول : « اجلسـوا » ، فجلس مكـانـه خـارجـاً من المسجـد ، حتى فرغ النبيّ ﷺ من خـطبته ، فبلغ ذلـك النبيّ ﷺ فقال : « زادك الله حرصاً على طواعية رسوله »[٢] .

---

(١) أسد الغابة (٣ / ١٥٧) .

(٢) تهذيب ابن عساكر (٧ / ٣٩١) وانظر الاصابة (٤ / ٦٦) .

(٣) أسد الغابة (٣ / ١٥٧) والاصابة (٤ / ٦٦) وتهذيب ابن عساكر (٧ / ٣٩١) .

وتزوّج رجل امرأة عبد الله بن رواحة ، فسألها عن صنيعه فقالت : « كان إذا أراد أن يخرج من بيته صلّى ركعتين ، وإذا دخل بيته صلّى ركعتين لا يدع ذلك »[1] .

ودفع رسول الله ﷺ إلى نفرٍ من أصحابه فيهم عبد الله بن رواحة يذكّرهم بالله ، فلما رأى رسول الله ﷺ سكت ، فقال له رسول الله ﷺ : « ذكّر أصحابك » ، فقال : يا رسول الله أنت أحقّ مني » ، قال : « أما إنّكم الذين أمرني الله أن أصبر نفسي معهم » ، ثم تلا عليهم : ﴿ واصْبِر نَفْسَك مع الذين يَدْعونَ رَبَّهُمْ ﴾[2] . . . الآية إلى آخرها ، ثم قال : « وما قعدَ عدّتكم يذكرون الله إلاّ قعد معهم عددهم من الملائكة ، فان حمدوا الله حمدوه ، وإن سبّحوا الله سبّحوه ، وإن كبّروا الله كبّروه ، وإن استغفروا الله آمنوا ، ثم عرجوا على ربهم فسألهم وهو أعلم منهم ، فقال : أين ومن أين ؟ فقالوا : ربنا عبيد لك من أهل الأرض ذكروك فذكرناك ، قال : ويقولون ماذا ؟ قالوا : ربنا

---

(١) الاصابة (٤ / ٦٦) .

(٢) الآية الكريمة من سورة الكهف (١٨ و٣٨) .

حمَدوك فقال : أوّل مَن عبد ، وآخر مَنْ حمـد ، قالـوا : وسبّحـوك ، قال : مـدحي لا ينبغي لأحدٍ غيـري ، قالـوا ربّنا كبّروك ، قال : لي الكبرياء في السموات والأرض ، وأنا العزيز الحكيم ، قالوا : ربنا استغفـروك ، قال : إني أشهـدكم أني قد غفـرت لهم ، قالـوا : ربنـا فيهم فـلان وفلان ، قال : هم القوم لا يشقى بهم جليسهم »[1] .

وقـال ابن رواحة لصـاحب له : « تعـالَ حتى نؤمن ساعةً » ، قـال : « أو لسنا بمؤمنين ؟ » ، قـال : « بلى ، ولكنا نذكر الله فنزداد إيماناً » ، وكان يأخذ بيد الرّجل من أصحـابـه فيقـول : « قم بنـا نؤمن سـاعـة ، فنجلس في مجلس ذكر »[2] .

وقد نزلت الآيات الكريمة : ﴿ يا أَيُّهـا الذينَ آمَنُـوا لِمَ تَقُولونَ مَالاَ تَفْعَلُون . كَبُرَ مَقْتَاً عندَ اللّهِ أَنْ تَقُولُوا مَـالاَ تَفْعَلُون . إنَّ الله يُحِبُّ الـذينَ يُقَـاتِلونَ في سَبِيْلِه صَفّـاً كـأَنَّهُمْ بُنْيانٌ مَـرْصُوص ﴾[3] في نفـر من الأنصار ، فيهم

(١) تهذيب ابن عساكر (٧ / ٣٩١ ـ ٣٩٢) .

(٢) البداية والنهاية (٤ / ٢٥٨) .

(٣) الآيات الكريمة من سورة الصف (٦١ : ٢ ـ ٤) .

عبد الله بن رواحة ، قالوا في مجلسٍ : « لو نعلم أيّ الأعمال أحبّ إلى الله تعالى لعملنا به حتى نموت » ، فلما نزلت فيهم هذه الآيات قال ابن رواحة : « لا أزال حبيساً في سبيل الله حتى أموت » ، فقُتل شهيداً[1] .

وكانت له أَمَةٌ سوداء ، فغضب عليها ، فلطمها ، ثم إنّه فزع فأتى النبيّ ﷺ فأخبره وخبرها ، فقال له : « ما هي يا عبد الله ؟ » ، فقال : « إنها تصوم وتصلي وتحسن الوضوء وتشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّكَ رسوله » ، فقال : « يا عبد الله ! هذه مؤمنة » ، فقال عبد الله : « فوالذي بعثك بالحق لأعتقنّها ولأتزوجنّها » ، ففعل ، فطعن عليه ناس من المشركين وقالوا : « نكح أَمَةً ! » ، وكانوا يريدون أن ينكحوا إلى المشركين وينكحوهم رغبة في أحسابهم ، فأنزل الله فيهم : ﴿ ولأمَة مُؤمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكةٍ ولو أَعْجَبَتْكُمْ ﴾[2] .

---

(١) تهذيب ابن عساكر (٧ / ٣٩٢) .
(٢) الآية الكريمة من سورة البقرة (٢ : ٢٢١) ، وانظر ماورد عن ذلك في تهذيب ابن عساكر (٧ / ٣٩٢) .

وبعث رسول الله ﷺ ابن رواحة في سرية ، فوافق ذلك يوم الجمعة ، فقدّم أصحابه وقال لهم : « أتخلف فاصلّي مع رسول الله صلىّ الله عليه وسلم الجمعة ثم ألحقكم » ، فلما صلّى رسول الله ﷺ رآه فقال : ما منعك أن تغدو مع أصحابك ؟ ! » ، فقال : « أردت أن أصلّي معك الجمعة ثّم ألحقهم » ، فقال رسول الله ﷺ : « لو أنفقت ما في الأرض ما أدركت غدوتهم » ، وفي رواية قال : « لغدوة[1] في سبيل الله أو روحة[2] ، خير من الدنيا وما فيها » ، وكان ذلك في غزوة مُؤتة ، فراح عبد الله منطلقاً[3] .

لذلك كان ابن رواحة ، أول خارج إلى الغزو وآخر قافل[4] ، فهو صاحب المناقب المذكورة في

---

(١) الغدوة : الخروج صباحاً .

(٢) الروحة : الخروج مساء .

(٣) تهذيب ابن عساكر (٧ / ٣٩٢ ـ ٣٩٣) ، والحديث الأخير رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأحمد ، انظر مختصر شرح الجامع الصغير للمناوي (٢ / ٢٠٩ ـ ٢١٠) .

(٤) الاستيعاب (٣ / ٨٩٨) وأسد الغابة (٣ / ١٥٧) .

الاسلام والأيام المشهورة[1] ، وكان من المجتهدين في العبادة[2] .

لقد كان تَقياً نَقياً ، صالحاً ورعاً ، بذل قصارى جهده في تطبيق تعاليم الاسلام في العبادات ، فكان صوّاماً قوّاماً ذاكراً لله شاكِراً لأنْعُمِه ، وبذل قُصارى جهده في تطبيق تعاليم الاسلام في الجهاد ، فما تخلّف عن غزوة من غزوات النبي ﷺ ، وكان أوّل خارج وآخر قافل ، وأخيراً بذل روحه رخيصة دفاعاً عن الاسلام ، فوقع شهيداً في معركة مُؤتَة ، عليه رحمة الله .

الشهيد

استُشهد عبد اللّه بن رواحة في سرية مُؤْتَة التي كانت في شهر جمادى الأولى من السنّة الثامنة الهجريّة ، كما ذكرنا .

ولم أجد في المصادر التي اطّلعت عليها سنة . مولد عبد اللّه بن رواحة ، كما لم أجد كثيراً عن أهله ،

(١) تهذيب ابن عساكر (٧ / ٣٩٠) .
(٢) الاستبصار (١١٠) .

سوى أن أمّه كَبْشَة بنت واقِد الخزرجيّة وابنتها عَمْرَة بنت رَوَاحة الخزرجية ، كانتا من النساء المبايعات رسول الله ﷺ[1] .

وعَمْـرَة بنت رواحة ، أخت عبد اللّه بن رواحة ، هي زوجة بشير بن سعد وأم النُعمان بن بشير ، وهي التي ذكرها النُعمان في حديثه قال : « نحلني[2] أبي نخلاً ، فقالت أمي عَمْرَة بنت رواحة : لا أرضى حتى يشهد عليَّ رسول الله ﷺ » .

وعَمْرَة هذه التي كان يشبِّب بها قيس بن الخطيم الأوْسِيّ قبل الاسلام ، وإيّاها عنى بقوله .

وعَمْـرَة مـن سَـرَواتِ النِّسـاء
تَـنَـفَّـح بـالـمِـسْـك أرْدَانُـهـا[3]

---

(1) العبر (٤٢٠ ـ ٤٢١) .

(2) نحلني : أعطاني .

(3) السروات : جمع سراة ، وهم الأشراف من القوم ، والاردان : جمع ردن ، وهو الطرف الواسع من الكم . وتنفح : تفوح .

فما رَوضَةٌ من رياضِ القَطا
كأنّ المصابيح حَوْذَانُها[1]
بأحسَنَ منها ولا مزنَةٌ
دلوج تكشَّف أدجانُها[2]

وروى أنّ النُعمان بن بشير دخل مجلساً فيه رجل يغني بهذا الشعر ، فأسكتوه حين دخل النعمان ، فقال النّعمان : « ما قال إلاّ حقاً ، ولم يقل سوءاً »[3] .

ولم يعقب ابن رواحة عليه رحمة الله[4] ، وقد رثاه حسّان بن ثابت شاعر النبيّ ﷺ ورثى شهداء مُؤْتَة في قصيدة طويلة ، منها :

تَـأَوَّبَنِي لَيْلٌ بِيَثْرِبَ أَعْسَرُ
وهَمٌّ إذا ما نَوَّمَ النَاسُ مُسْهِرُ[5]

(١) رياض القطا : موضع ، والحوذان : نوع من الزهر بديع الألوان ينبت في البادية .

(٢) المزنة : السحابة الممطرة . والدلوج : الواسعة الممتلئة . « أدجانها : ظلماتها » .

(٣) الاستبصار (١١٢ - ١١٤) وانظر المعارف (٢٩٤) .

(٤) أسد الغابة (٣ / ١٥٩) .

(٥) تأوبني : عادني ورجع إلى ، وأعسر : شديد العسر ، ومسهر : داع إلى السهر ومانع من النوم .

لِـذِكْـرى حَبِيْبٍ هَيَّجَتْ لي عَـبْـرَةً
سفـوحـاً ، وأسبـابُ البُكَـاءِ التـذكّـرُ
بَـلَى إنَّ فُـقْـدانَ الـحـبـيـبِ بَلِيَّـةٌ
وكَـمْ مِن كَـريـمٍ يُبـتَـلى ثـمَّ يَصْـبِـرُ
رأيـتُ خِـيَـار الـمـؤمـنـيـنَ تَـواردُوا
شَعُـوب وخَلْفـاً بـعـدهـم يـتـأخّـرُ[1]
فـلا يُـبْـعِـدَنَّ الله قَـتْـلَى تـتـابـعـوا
بـمؤتـةَ مـنهـم ذو الـجـنـاحـين جـعـفـرُ
وزيـدٌ وعـبـد الـله حـيـن تـتـابـعـوا
جـمـيـعـاً وأسـبـابُ الـمَنِـيّـة تَخْـطُرُ

في قصيدة طويلةٍ[2] .

وقال حسان بن ثابت يرثي عبد الله بن رواحة ، وزيد بن حارثة الكَلبي :

عَـيْـنُ جُـودِي بـدمـعِـكِ الـمـنْـزُورِ
واذْكُـرِي فـي الـرَّخـاءِ أهـلَ القُـبـورِ[3]

---

(١) الشعوب : المنية . وخلفاً : الذي يأتي بعدهم .
(٢) سيرة ابن هشام (٣ / ٤٤١) والبداية والنهاية (٤ / ٢٦٠) .
(٣) المنزور : القليل ، وذلك لأنه بكى حتى فرغ دمعه .

واذكُري مُؤْتَةً وما كانَ فيها
يومَ راحُوا في وَقْعَةِ التَّغْوِيرِ[1]

حينَ راحُوا وغادَروا ثَمَّ زَيْداً
نِعْمَ مأوَى الضَّرِيكِ والمأسورِ[2]

حِبَّ خيرِ الأنام طراً جميعاً
سَيِّدِ الناسِ حُبهُ في الصدور

ذاكُمُ أحْمَدُ الذي لا سِواهُ
ذاكَ حُزْني لهُ معاً وسُرُوري

إنَّ زيداً قد كان مِنَّا بأمْرٍ
ليس أمْرَ المُكذِّبِ المَغْرورِ

ثُمَّ جُودي للخَزْرَجِيِّ بِدَمْعٍ
سيِّداً كان ثَمَّ غيرَ نَزُورِ[3]

قد أتانا من قتلهم ما كفانا
فبحُزْنٍ نَبِيتُ غَيْرَ سُرُورِ[4]

---

(١) التغوير : الإسراع ، يريد الانهزام . .

(٢) الضريك : الفقير .

(٣) أراد بالخزرجي عبد الله بن رواحة ، والنزور : القليل العطاء .

(٤) سيرة ابن هشام (٣ / ٤٤٦) .

وقال شاعر من المسلمين ممّن رجع من غزوة مؤتة :

كَفَى حَزَناً أَنّي رَجَعْتُ وجَعْفَرٌ
وَزَيْدُ وعبدُ اللّه في رَمْسٍ أَقْبُرِ

قَضَوْا نَحْبَهُمْ لمّا مَضَوْا لِسَبِيْلِهِمْ
وخُلِّفْتُ للبَلْوَى مع المُتَغَبِّرِ (1)

ثلاثةُ رهطٍ قُدِّموا فتقدَّموا
إلى وِرْدِ مَكْروه من الموت أحمرِ (2)

والشعر في رثائه ورثاء شهداء مؤتة كثير .

ومضى عبد الله إلى رحاب الله ، وبقى ذكره في بطون الكتب ، ومثله يستحق الثناء المستساب .

القائد

شَهِد ابن رواحة بيعة العَقَبة الثانية ، وكان ليلتئذٍ نقيب بني الحارث بن الخزرج ، وشهد بدراً وأُحُداً

(1) قضوا نحبهم : : يريد ماتوا ، وأصل النحب النذر ، والمتغبر : الباقي .

(2) سيرة ابن هشام (٣ / ٤٤٦ - ٤٤٧) .

والخندق والحُدَيْبِيَة وخَيْبَر وعُمْرَة القَضاء والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ إلاّ غزوةالفتح وما بعدها ، فانّه كان تُوفي قبلها يوم مُؤْتَة ، وهو أحد الأمراء في مُؤْتَة ، وكان أوّل خارج إلى الغزوات وآخر قادم[1] .

وقال ابن رواحة : « لا أزال حبيساً في سبيل الله حتى أموت »[2] ، وكانت الشّهادة في سبيل الله من أعزّ أمانيه[3] .

لقد كان من هواة الجهاد ، يحفزه إليه عقيدته الاسلاميّة ، ورغبته الصّادقة في نيل أجر المجاهدين في سبيل الله ، والشهداء لاعلاء كلمة الله ، فهو الذي شجّع المسلمين في سرية مؤتة على لقاء الكفّار ، وكان المسلمون ثلاثة آلاف ، والكفار مائتي ألف[4] : مائة ألف من الروم بقيادة هِرَقْل قيصر الرُّوم . ومائة ألف من العرب بقيادة رجل من بَلِيّ ثم أحد إراشَة يقال له :

(١) تهذيب الأسماء واللغات (١ / ٢٦٥)
(٢) تهذيب ابن عساكر (٧ / ٣٩٢) .
(٣) الاستيعاب (٣ / ٨٩٨) .
(٤) تهذيب الأسماء واللغات (١ / ٢٦٥) .

مالك بن زافلة ، فلما بلغ ذلك المسلمين ، أقاموا على مُعَان ليلتين يفكِّرون بأمرهم ، فشجّع الناسَ عبد الله بن رواحة وقال : « يا قوم ! والله إنّ التي تكرهون لَلّتي خرجتم تطلبون الشّهادة ، وما نقاتل الناس بعَدَدٍ ولا قُوّة ولا كثرة ، ولا نقاتلهم إلّا بهذا الدِّين الذي أكرمنا الله به ، فانطلقوا فإنّما هي إحدى الحُسنَيين : إمّا ظهور ، وإما شهادة »[1] .

ومهما قيل في مبالغة الذين سجّلوا تَعداد الروم وحلفائهم ، فانّ الحقيقة تبقى واضحة للدارسين ، بأنّ الروّم وحلفاءهم كانوا أضعاف تعداد المسلمين ، كما أنهم يقاتلون في بلادهم دفاعاً عنها ، بينما يقاتل المسلمون بعيداً عن قاعدتهم الرئيسة : المدينة ، وبذلك تكون المزايا العسكرية في التفوق العَدَدِيّ والعُدَدي وفي قرب قواعد الروم إلى قوّاتهم المقاتلة ، هذه المزايا مع الروم على المسلمين بلا مراء .

وفي هذه الحالة ، وبمثل هذا الموقف ، وبموجب

(١) سيرة ابن هشام (٣ / ٤٢٩ ـ ٤٣٠) .

المقاييس الماديّة وحدها ، فانّ تشجيع المسلمين على اقتحام الروم وحلفائهم بالرغم من تفوّق الروم العَدَدي تفوقاً ساحقاً على المسلمين ، وقرب قواعدهم من قوّاتهم المقاتلة ، وخبرتهم الطويلة في فنون الحرب بشكل أفضل بكثير من خبرة أولئك المسلمين القادمين من أعماق الصحراء ، يمكن اعتباره بموجب المقاييس الماديّة وحدها مجازفة من المجازفات الخطيرة التي تؤدي إلى التهلكة ، ويمكن اعتباره خطأ فاحشاً من الأخطاء العسكرية الفاحشة أيضاً .

ولكنّ المقاييس الماديّة تطبّق على الذين يعتمدون الوسائل المادية وحدها في حروبهم أما الذين يحاربون حرباً عقائدية جهاداً في سبيل الله ، ودفاعاً عن عقيدتهم وعن حريّة انتشارها ، فلا تطبّق عليهم المقاييس الماديّة وحدها التي تطبّق على غيرهم في حروب استثمارية أو توسعيّة أو من أجل أمجاد شخصيّة وأحقاد عنصريّة أو طائفية ، وعلى ذلك فلا تُطبق هذه المقاييس الماديّة على أمثال عبد الله بن رواحة ، لأنّهم كانوا يخوضون حرباً عقائدية لا دخل للمادة فيها من قريب أو بعيد ، وإلاّ

فماذا يمكن أن يقال في غزوة بدر الكبرى الحاسمة بالنسبة للمقاييس المادية وحدها ، وكان تفوق المشركين على المسلمين بنسبة ثلاثة على واحد في الأشخاص وبنسبة مائة على واحد بالخيل، والخيل أنجح سلاح في الحروب القديمة ؟؟ !

لقد حرّض عبد الله بن رواحة المسلمين على القتال لأغراض عقائدية ، فكان تحريضه خطأ بالنسبة للمقاييس المادية ، ولكنه كان عين الصواب بالنسبة للجهاد والحرب العادلة التي كان يخوضها المسلمون حينذاك .

وتشجيع عبد الله بن رواحة المسلمين على قتال الروم وحلفائهم ، واستجابة المسلمين لهذا التشجيع ، له دلالة لا يمكن أن يختلف فيها اثنان ، هي أنّه كان يثق ثقة عالية برجاله ، وأنّ رجاله كانوا يثقون به ثقة مطلقة ، والثقة المتبادلة بين القائد ورجاله من أهم مزايا القائد المتميّز .

ولا يمكن أن يثق الرجال بقائدهم ثقة مطلقة عفواً

وبدون أسباب ، كما أنّ النبيّ ﷺ كان لا يولي المراكز القياديّة إلاّ لأشخاص لهم مؤهلات عالية ومزايا واضحة المعالم ، فقد كان عليه الصّلاة والسّلام يحرص أعظم الحرص على تولي الرجل المناسب للعمل المناسب تطبيقاً لتعاليم الاسلام في الولاية ، وثقة النبيّ ﷺ بعبد الله بن رواحة ، وثقة رجال عبد الله بن رواحة به ، أسبابها وحوافزها واحدة ، هي تمتّع عبد الله بن رواحة بالأضافة إلى عمق إيمانه بمزايا قياديّة أهّلته لأن يكون أحد قادة النبيّ ﷺ ، وأن يستحوذ على ثقة رجاله المطلقة .

ويمكن إيجاز مزاياه القيادية ، بأنه كان قادراً على إصدار القرار السريع الصحيح ، فهو من القلّة النادرة التي تحسن القراءة والكتابة ، في وقت كان لا يحسن فيه القراءة والكتابة في المجتمع السائد حينذاك إلاّ القلائل الذين يعدّون على الأصابع ويشار إليهم بالبنان ، مما يدل على ذكائه الألمعي .

وكان شجاعاً مقداماً ، أثبت جدارة في كلّ الغزوات التي خاضها تحت لواء النبيّ ﷺ ، كما كانت

مهمّةُ تلك السرية مهمةٌ صعبة للغاية لا يقدر عليها غير الفدائيين المغاوير الشجعان .

وكان يتحلّى بارادة قوّية ثابتة ، وقد ظهرت إرادته التي لا تتزعزع قُبَيْل سرية مُؤْتَة ، إذ تردّد الأكثرون ولم يتردّد الأقلّون ، وعليٍ رأسهم عبد الله بن رواحة ، الذي أصرّ على مجابهة الروم وحلفائهم ، فكان له ما أراد .

وكان له نفسيّة لا تتبدل في حالتي النصر والاندحار ، يعرف نفسيات رجاله وقابلياتهم ، يحبّ رجاله ويحبونه ، له شخصيّة قويّة نافذة ، وقابلية بدنيّة فائقة ، وماضٍ ناصع مجيد حسباً ونسباً وفي خدمة الاسلام والمسلمين ويتحلّى بأعلى درجات الضّبط المتين والطّاعة .

وكان يعرف مبادىء الحرب ويطبّقها بفطرته التي لا تخطىء ، فهو يطبّق مبدأ : اختيار المقصد وإدامته ، لا يحيد عنه أبداً ، ويسعى لتحقيقه بكل ما يستطيع من قوّة وجهد وعزم ، وكانت معاركه تعرضية كلّها ، لم يدافع أبداً ولم يطبق الدفاع في القتال .

وكان يطبِّق مبدأ : المباغتة ، وقد باغت اليهوديّ ومَنْ معه ، فاستطاع التغلّب عليهم ، والقضاء على نشاطهم التخريبيّ .

وكان يطبِّق مبدأ : الاقتصاد بالقوّة ، فهو يعتقد بحق أنّه ينتصر على أعدائه بقوّة عقيدته وضعف عقيدتهم لا بعَدَد أو عُدَّة .

وكان يطبِّق مبدأ : الأمن ، لذلك استطاع أن يباغت أعداده ، ولم يستطع أعداؤه أن يباغتوه .

وكان يديم المعنويات ، بل كان بحق كتلة من المعنويات ، يقاتل بشعره كما يقاتل بسيفه ، ويرفع المعنويات بالعقيدة الرّاسخة والايمان العميق .

وكان يساوي نفسه برجاله ، ولا يتميَّز عليهم بشيء ، ويستشيرهم في كلّ خطوة يخطوها أو عملية ينفِّذها .

تلك هي سماته القيادية التي جعلت النبيّ ﷺ يوليه مركزاً قيادياً ، وجعلت أصحابه يثقون به ويعتمدون عليه ، وهو حريّ بالثقة والاعتماد .

ابن رواحة في التاريخ

يذكر التّاريخ لابن رواحة ، أنّه شهد بيعة العَقَبَة الثانية في ضواحي مكّة مع الذين اسلموا من الأوس والخزرج من أهل المدينة ، وأنّه بايع النبيّ ﷺ في العقبة مع إخوانه المبايعين ، وأنّ النبيّ ﷺ اختاره ليلتئذٍ نقيباً على بني الحارث بن الخزرج قومه من الخزرج .

ويذكر له ، أنّه شهد بَدْرًا وأُحُداً والخَنْدَق والحُدَيْبِيَة وخَيْبَر وعُمْرَة القَضَاء والمشاهد كلّها مع رسول الله ﷺ ، إلّا الفتح وما بعدها فانه توفّي قبلها بيوم مُؤْتَة .

وأنّه كان قائد سرية من سرايا النبيّ ﷺ إلى أحد أعداء الاسلام والمسلمين من يهود ، فاستطاع إزاحته عن طريق الاسلام والمسلمين .

وأنّه كان أحد الأمراء الثلاثة الذين سمّاهم النبيّ ﷺ في معركة مُؤْتَة ، وأنه استُشهد في تلك المعركة التي خاضها المسلمون على الرُّوم وحلفائهم .

ويذكر له ، أنّه كان أحد الشعراء المحسنين الذين يردّون الأذى عن رسول الله ﷺ والاسلام والمسلمين .

ويـذكر لـه ، أنّه كـان صـاحب مجالس الـذكـر ، يشجّع إخوانه على عقدها لتجديد حوافز الايمان .

ويذكر لـه ، أنّه كـان من الصالحين الـورعين التُّقاة الأبرار الصّحابة في علمه وعمله واجتهاده في العبادة .

رضي الله عن العَقْبيِّ النقيب ، الصحابيِّ الجليل ، القـائد الشُّجّـاع ، الشـاعـر المجيـد ، البـطل الشّهيـد ، عبد الله بن رَواحة الأنْصَارِيّ الخَزْرَجي .

الفهـــرس